

مجلّة المنتدّ أبو حنيفة

مجلة دورية متخصصة في الرد على التيارات الفكرية المعاصرة المعادية للإسلام

العلمانية والحقيفة الهزدوجية

بقلم د. أحمد إدريس الطعان

مسابقة العدد ص ٢٣

التسليم لله لا يقدر في العقل!

شخصية المرأة المسلمة ..

استقلالية أم تبعية؟!

نظرية داروين..

تحت شجرة أوكام ومطرقة بوبر!

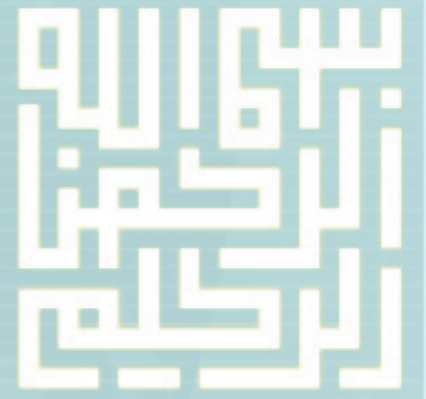


صدية منتدى التوحيد

لأول مرة على شبكة الإنترنت

محتويات العدد

áÉĤöä ĞŋÉŌŋ	d'
!ŌŌĤöä Ž dzÉŌŋ r ! ĽŸÊŌöä	Ē
ĠDZšáĀtā ĠŌŌŌΣāš ĠŒŋĀtŸĤöä	Čč
ăóžŋ ŋŌ ĀĀŸĤDZš	ČĐ
!ŸĠĤĤk ŸŮ ĠŌŌŸŌŌä .. ĠŸĤĤtā ġŮĀtā ĠŌŌĀŸ	ČĒ
áÉĤöä ĠŌŌĀĒŋ	čĎ
!!!Āžž ĠŒĀŮŋš ŮŸĀŌšŮ ġĀĀŸ ĠŌŌ ..ŋŸšŌā ĠĀŸŋ	čĐ
ÁĒģžŌöä ŔĀŌŌŋ ĠĀĒĒ	Ďč
!!ŸĀžĒ ĽŸŮŮ r	Ďč
ŘĀŸŌöä ŘĀŌ ŘĀŌ	d'č
!Ÿ ĠĀDZšŮ ŋŮt .. jăăžk ŌĀĀĒ	d'Đ
!!ĠŸĤŋ ĠŌŌĀŋ ġăă ŘĒŌĒ ĀŮŮġ	Đč



مجلة منتوى التوحيد
سجلة دورية

تأسست عام
1429 هـ / 2008 م

تصدر من موقع
منتوى التوحيد
www.eltwhed.com

العدد العاشر
جمادى الأولى
1431 هـ

المراجعة اللغوية

أبو المنذر

التصميم

أبو عمر الأنصاري

للسراسل

altwhed_com@yahoo.com

حصرها على شبكة الإنترنت



إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،
مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ.
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

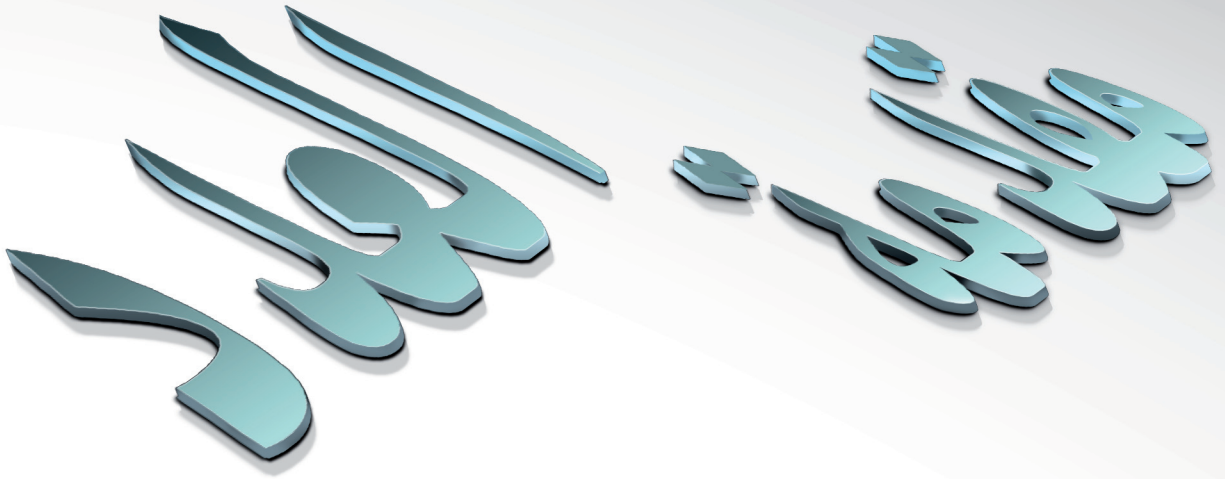
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)} [سورة آل
عمران]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا
كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)} [سورة
النساء]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ
وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)} [سورة الأحزاب]

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ
مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٍ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.



لكل شيء إذا فكرت أسباب**** وليس دون قرع يفتح الباب

إنّما الأسباب لنتائجها، وتوقف المسبّبات على أسبابها، سنّة كونية، أجراها ربّ العزة في خلقه، مطّردة غير منتقضة، إلا استثناء؛ تأييدا لأنبيائه، أو محنة لأصفيائه، لحكمة هو سبحانه يعلمها. وما خالف القياس، غيره عليه لا يقاس.

كما تراه سبحانه، عطلّ السبب عن مسبّبه، فما أحرقت النّار المحرقة خليله إبراهيم-صلى الله عليه وسلم-حينما ألقى فيها؛ {قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ}، وحكمة ذا الفعل، {وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ}.

وكما تراه عزّوجلّ، خلق ابنا دون أبيه، مبينًا قدرته على إيجاد الشيء دون سببه، فوُلد عيسى بن مريم-صلى الله عليه وسلم-: {قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا (*)} قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا}.

والّا، فالأصل أنّ لكلّ شيء سببا، ولكلّ سبب مسببا. فهذه مريم البتول-عليها السلام-وهي في عزّ ضعفها، لا ترزق إلا بسبب! تأمل قول ربنا لها: {وَهَٰذَا إِلَيَّ الْبَيْتُ وَهَٰذَا الْغُلَامُ}، هذه إشارة من ربّ العالمين، إلى أنّ الله! التي يُخلق في بطنها غلام دون أبيه، تحتاج هزّ النّحلة لتأكل! هذه إشارة من ربّ العالمين، إلى أنّ خرق العادة استثناء، وليس قاعدة عامّة، فلكلّ شيء سببه، الذي لا يتحقق إلا به. {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ}.

إذا علم ذا!

فإنّ الناظر في حال أمة الإسلام، دينا وتديّنا، لا يحتاج كثرة تأمل ليدرك الكائن، فالكيد صريح بائن؛ فالتديّن غزاه إبليس بأضعف جنده-وكلّهم ضعيف-، بسلاح الشهوات المحرّمات، لعلمه-أخزاه الله-أنّ كلّ فعل مُحَرَّم، هو تركُ لنصّ مُحَرَّم، فلا لذة دون غفلة.

وأما الدين، فخص له عدو آدم-صلى الله عليه وسلم- وذريته، شرّ جنده من بنيه، وذرية آدم-صلى الله عليه وسلم-، فهم فتيانه، ولعلّه صار من فتيان بعضهم، منافسةً في المكر! فجاءوا على مصادر الإسلام، جماعات، وأفراداً؛ فحيناً يشكّون، وتارة ينكرون، وأخرى يؤمنون ويكفرون. فبعض من خارج الملة يرمي بالسّهام، وبعض دخل فيها-نفاقاً-ليشتت الوئام، حتى افترقت أمة الإسلام، ولم يكن بالغريب وقوعه، فقد نبأ به خير الأنام، بقوله-على الصلاة والسلام-

((افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، وسبعون في النار. وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، فأحدى وسبعون في النار، وواحدة في الجنة. والذي نفس محمد بيده، لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنة. وثنتان وسبعون في النار)) قيل يا رسول الله: من هم؟ قال

((الجماعة)) [الصحيحة: ١٤٩٢]

فتنازع المسلمون، وقد نهوا {وَلَا تَنَازَعُوا}، فكانت نتيجة ذلك {فَتَفَشَلُوا وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ} وقد حصل، فالسبب لا تتخلف عنه نتائجه!

فلما تمزقت الكلمة، شغلنا عن جهاد الطلب، وضعفنا في جهاد الدفع، فانكسر السيف والسنان، وخمل العلم والبيان، والله المستعان.

فحربنا مع أعداء الله-وهي قديمة متجددة- حرب مواقع. ضربونا في عقر دارنا، فتأخرت صفوفنا المقدّمة، فأمنوا ببيضتهم، وأفسدوا بنا بيضتنا...

فكان حقيقاً على كل غيور، أن يبحث عن السبب، المثمر لوحدة الأمة، تحت سقف دين الله، ومن ثمّ نحفظ علينا ديننا، وندعو له غيرنا.

وجمع الأمة، بجمع قلوبها، وقلوبها بيد خالقها، قال سبحانه {وَأَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}. فالله وحده مؤلف القلوب. ولما توحدت قلوب الصحابة-والآية فيهم- حُقَّ بأنهم {أَشْدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحَمَاءُ بَيْنَهُمْ}، وهذا معنى الوحدة الحقيقية، فيالها من نتيجة تطلب سببها!

هذا ما بلغوه، مع وجود المنافقين-ولايزالون-السّاعين للتفريق بين الصّحب الأبرار، ولكن هيهات!

والأمة اليوم ديناً وتديناً، دخل فيها ما ليس منها، أفراداً وأفكاراً، فحال دون التآلف، والتحالف. فلزمت

الغربة الداخلية، لكل دخیل، وتنشئة صحيحة للجل، حتى نجلتمع على أوحد سبیل.

وهو السبب، الذي التزمه محمد بن عبد الله-صلی الله علیه وسلم-، فكان یزیل الشریکات، ویثبت الإیمانیات، تخلیة وتخلیة، تصفیة وتربیة، حتى صدق فیمن معه { مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ } فهم صدقا معه! فهل سنكون معه؟

ففي حياة المصطفى- علیه السلام- كان أمانا لهم، وبعده كانوا أمانا لأمته، كما صرح هو بنفسه: ((أنا أمانة لأصحابي، فإذا ذهبت، أتى أصحابي ما یوعدون. وأصحابي أمانة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي، أتى أمتي ما یوعدون)) [رواه مسلم]

وأصحابه نجحوا بشهادة الله لهم، ونجاحهم لأنهم أخذوا بالسبب الصحيح، فما بُني صحيح على علیل! ولما كان لا نبی بعد خاتمهم، فحفظ الدین بالنبی مُحال، فبقي تتبع خطی الأصحاب، فهم القرن الذي نجح، بعد مفارقة نبیّه! وإذا سلكت منهج الناجح نجحت؛ لذا جعل الله تعالى من تبعهم مرضیّا عنه مثلهم، فقال: { وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }

إذا، نخلص بأن الخلاص، في أن نتبع الصحابة-رضوان الله عليهم- فهذا هو سبب وحدة الأمة؛ لأنهم أصدق من توحّد، وأكمل من رضي الله عنهم بعد الأنبياء، وأحقّ من جُمع اسمهم لاسم نبی، بل أید الله بهم النبي-صلی الله علیه وسلم- { اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ } ولذا صار تنكّب صراطهم، هو مفارقة للرّسول-صلی الله علیه وسلم- قال سبحانه { وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا }

وعلى ضوء هذا النهج، يسير منتدى التوحيد، ومجلّته، فأصحابه أفردوا المعبود، ووحدوا المتبوع، فتكاتفت عندهم الجهود، وسلم لهم الينبوع.

فهم سلكوا سبیل المؤمنین؛ یردّون الشّبه، ویبینون الحقّ، ویدعون بالتي أحسن، للتي هي أقوم، معترزين بانتسابهم للسلف عقيدة، ومنهاجا، فخرا واعتزازا....لأنه سبب الوحدة الوحيد، ومركب النجاة الفريد. والحمد لله رب العالمين.

التَّسْلِيمُ لِلَّهِ لَا يَقْدَحُ فِي الْعَقْلِ

بقلم أ. مالك مناع

يَقَسِّمُ النُّظَارَ الْبَرَاهِينَ إِلَى ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ (*):

◆ **البرهان العاطفي (الوجداني):** وهو البرهان الغريزي، الذي يتعلق بقوى الشعور الداخلية للجسد، كالجوع والعطش، أو تتعلق بالروح، كالفرح والحزن.

◆ **البرهان العقلي:** وهو المبني على مقدمات ضرورية، يستنبط منها العقل قوانين كلية؛ فلا بد من مسلمة عقلية تشترك في إدراكها سائر العقول، ليبني عليها ما بعدها. والنظريات الطبيعية، والبراهين الرياضية خير شاهد على ذلك، فإنها ترجع في أصولها إلى أمور، اتفق عليها سائر العقلاء.

◆ **البرهان الديني:** وذلك، إنَّما يكون في المسائل الخبرية، التي لا يدركها العقل ابتداءً، وإن أدرك أصولها إجمالاً، فالرسالات تأتي بالبيان المفصل، والعقل الصريح يسلم للنقل الصحيح، فما أشكل عليه من أمور الغيب رده إلى عالمه، والشأن في البرهان الديني: ثبوت النبوة، فليس الشأن: رد أحكامها بمقاييس العقول المتفاوتة، إذ

ليس العقل حكماً على الوحي، وإنما الشأن، هل مدَّعي النبوة: صادق ليتبع أو كاذب ليجتنب؟! وإنما يقع الخط في هذا الباب من جهة أعمال البرهان في غير محلّه، فيقدّم البرهان العقلي في الإلهيات، فيصير طاغوتاً يتسلط على النبوة، ليقبل ما وافق أقيسته، ويرد ما خالفها، في انتقائية لا مستند لها إلا تفاوت العقول في إدراكاتها، فما استحسنة هذا، استقبحه ذاك، وما قبله هذا رده ذاك، فلا يفصل النزاع إلا الوحي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في «بيان تلبيس الجهميّة» (١/٢٤٨): «إنّ موارد النزاع لا تفصل بين المؤمنين إلا بالكتاب والسنة -وإن كان أحد المتنازعين يعرف ما يقوله بعقله-؛ وذلك أن قوى العقول متفاوتة مختلفة، وكثيراً ما يشتبه المجهول بالمعقول! فلا يمكن أن يفصل بين المتنازعين قول شخص معيّن أو معقوله؛ وإنما يفصل بينهم الكتاب المنزل من السماء، والرسول المبعوث المعصوم فيما بلغه عن الله -تعالى-».

غيره على جميع شأنه، وأمره لعدّ سفيهاً جاهلاً،
وشأن الربّ أعظم من أن يطلع كلّ واحد من خلقه
على تفاصيل حكمته.

والمسلم يعلم يقيناً أنّ الحكمة تابعة للعلم
والقدرة؛ فمن كان أعلم وأقدر، كانت أفعاله أحكم
وأكمل، وهو يعلم أنّ الله تبارك وتعالى منفرد
بكمال العلم، والقدرة، فحكّمته تامّة كاملة، بحسب
علمه وقدرته، وهذا مستقر في قلبه وفطرته، لذا
لا يضره عدم العلم بحكمته، ولا يجد في جهله بها
مسوّغاً لمخالفة أمره، لا سيما وعدم العلم بالشيء
لا يستلزم العلم بعدمه؛ قال الإمام ابن القيم-
رحمه الله-: «العقلاء متفقون على أنّ الفاعل إذا
فعل أفعالا ظهرت فيها حكمته، ووقعت على أتم
الوجوه، وأوفقها للمصالح المقصودة بها، ثم إذا
رأوا أفعاله قد تكرّرت كذلك، ثم جاءهم من أفعاله
ما لا يعلمون وجه حكمته فيه، لم يسعهم غير
التّسليم، لما عرفوا من حكمته، واستقر في عقولهم
منها، وردّوا منها ما جهلوه إلى مُحكم ما علموه».
(شفاء العليل : ٤١٩ - ٤٢٠).

ثم إنّ عدم التّسليم في نفسه، لا يكون إلا لمن
يجوز عليه الجهل أو الكذب أو سوء القصد أو
العيّ؛ بحيث لا يفصح عمّا يريد، أو قد يفصح
بما يوهّم خلاف مراده، لعجزه عن البيان على
أتم الوجوه، وكل هذه العيوب ممتنعة في حقّ
الله تبارك وتعالى، فوجب التّسليم له بقبول خبره
وطاعة أمره.

والمسلم يعلم يقيناً أنّ «العقل شرط في معرفة
العلوم، وكمال صلاح الأعمال، وبه يكمل العلم

لذا؛ فإنّ الزّعم بأنّ التّسليم لله تبارك وتعالى
قادح في العقل! هو محض تخليط، وإعمال
للبرهان العقلي في غير محله، لأنّ المسلم حين
يعلم استسلامه لله تبارك وتعالى، وانقياده التّام
له؛ إنّما يبني ذلك على براهين قطعيّة، تجعل من
قضية التّسليم هذه، مقدمة صحيحة لكلّ ما يشكل
عليه من مسائل الدّين.

وهذه البراهين متنوعة: كالّتصديق بوجود
الله تبارك وتعالى، واستحقاقه للعبادة، والإيمان
بأسمائه وصفاته، وأنها بالغة في الحسن غايته،
وأنها متضمنة لصفات كاملة، لا نقص فيها بوجه
من الوجوه، مع ما يلزم من الإيمان بمقتضاها،
وآثارها في خلقه، والتّصديق بالرّسول عليه الصلاة
والسلام، وما جاء به من الحقّ. فكلّ هذه البراهين
مكونة في قلب كل مسلم -حتى العوام منهم- على
تفاوت بينهم، لا يقدح في أصل التّسليم؛ ولا يعني
عدم استحضارها في أذهان بعضهم، أنّها غير
موجودة، بل هي موجودة في مكنوناتهم، ومن
السّهل استدعاء معانيها عند أدنى تأمل منهم.

ثم يبقى الدّليل العام للشريعة في العقيدة، وفي
الفقه، وهو أنّه ما كان في كتاب الله جل وعلا،
أو في سنة الرّسول-صلى الله عليه وسلم-فهو
حقّ؛ وهو البرهان الذي يعكس في الظاهر حقيقة
البراهين التي يؤمن بها في أعماقه، فإذا لم يدرك
المسلم العلّة في أمر ما؛ فإنّ ذلك ليس معناه أنّه
خلل في البرهان، إنّما هو خلل في التلقي، أو خلل
في إيضاح ذلك البرهان، أو لأنّ البرهان الذي هو
الدّليل، لم يفصح لنا عن هذه الأسرار، وهذا ليس
بغريب فإنّ كمال الله تبارك وتعالى يأبى إطلاع
خلقه على جميع حكمته، بل الواحد منا لو أطلع

وهو ما قرره شيخ الإسلام حيث قال: «العقل الصريح -دائماً- مُوافق للرَّسُولِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، لا يُخالفُه -قط-؛ فإنَّ الميزانَ مع الكتاب، والله أنزلَ الكتابَ بالحقِّ والميزان، لكن؛ قد تَقْصُرُ عَقُولُ النَّاسِ عن معرفةِ تفصيلِ ما جاء به، فيأتيهم الرَّسُولُ بما عَجَزُوا عن معرفتِهِ وحارُّوا فيه؛ لا بما يَعْلَمُونَ بُطْلانَهُ! فالرُّسُلُ -صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهم- تُخْبِرُ بِمَحَارَاتِ الْعُقُولِ، لا تُخْبِرُ بِمُحَالَاتِ الْعُقُولِ». «مجموع الفتاوى» (٤٤٤/١٧).

ومن هنا، كانت معارضة العقل للنقل وعدم التسليم له، أصل كل فساد في العالم، وبداية الشَّرِّ في الخلق. قال الإمام محمد بن عبد الكريم الشَّهْرَسْتَانِي: «اعْلَمْ أَنَّ أَوَّلَ شُبْهَةٍ وَقَعَتْ فِي الْخَلْقِ شُبْهَةٌ إِبْلِيسَ، وَمَصْدَرُهَا اسْتِبْدَاؤُهُ بِالرَّأْيِ فِي مُقَابَلَةِ النَّصِّ، واختيارُهُ الْهَوَى فِي مُعَارَضَةِ الْأَمْرِ، واستكبارهُ بِالْمَادَّةِ الَّتِي خُلِقَ مِنْهَا -وهي النَّارُ- عَلَى مَادَّةِ آدَمَ- وهي الطِّينُ-! وتَشَعَّبَتْ عَنْ هَذِهِ الشُّبْهَةِ شُبْهَاتٌ!!». «المِلَلُ وَالنَّحَلُ» (٩/١-١٠).

والحاصل ممَّا سبق؛ أَنَّ التَّسْلِيمَ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَقْدَحُ فِي الْعَقْلِ؛ بَلْ هُوَ مِنَ الْعَقْلِ وَإِلَيْهِ، وهو السَّبِيلُ الْقَوِيمُ لِمَنْ رَامَ الرَّاحَةَ وَالطَّمَأْنِينَةَ فِي الدُّنْيَا وَالنَّجَاةَ فِي الْآخِرَةِ.

والله يَقُولُ الْحَقَّ وهو يَهْدِي إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ.

وَالْعَمَلُ» «مجموع الفتاوى لابن تيمية» (٣٣٨/٣). ولكنه يَعْلَمُ أَيْضاً «إِنَّ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ- جَعَلَ لِلْعُقُولِ فِي إدْرَاكِهَا حَدًّا تَنْتَهِي إِلَيْهِ لَا تَتَعَدَّاهُ، وَلَمْ يَجْعَلْ لَهَا سَبِيلًا إِلَى إدْرَاكِ فِي كُلِّ مَطْلُوبٍ». «الاعتصام للشاطبي» (٣١٨/٢).

ولذلك كان إقحام العقل فيما لا يدركه، أمر مخالف للعقل نفسه، لأن حدوده تبدأ من حيث تنتهي دائرة الحواس، حيث يقوم العقل بالربط بين الجزئيات، التي أدركتها الحواس في عالم المشاهدة والمادة، بعد تلمس العلل والأسباب، ويبني على تلك الجزئيات كليات مجردة عن المادة، ثم يتقاطع في مساحة صغيرة مع دائرة الوحي، ولا يستطيع العقل أبداً أن يجاريها، وذلك لمحدوديته التي لا تمكنه من النهوض لبناء القناعات المطلقة، يقول الإمام الشاطبي: «إذا تعاضد النقل والعقل على المسائل الشرعية؛ فعلى شرط أن يتقدم النقل فيكون متبوعاً، ويتأخر العقل فيكون تابعاً، فلا يسرح العقل في مجال النظر إلا بقدر ما يُسرِّحه النقل». «الموافقات» (٨٧/١).

« وليس ذلك بقادح في العقل ومداركه، بل العقل ميزان صحيح، فأحكامه يقينية لا كذب فيها؛ غير أنك لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد والآخرة وحقيقة النبوة، وحقائق الصفات الإلهية، وكل ما وراء طوره، فإن ذلك في محال، ومثال ذلك: مثال رجل رأى الميزان الذي يوزن به الذهب؛ فطمع أن يزن به الجبال، وهذا لا يدرك على أن الميزان في أحكامه غير صادق، لكن العقل قد يقف عنده ولا يتعدى طوره». «المقدمة لابن خلدون» (ص ٤٦٠).

* التقسيم مستفاد من دروس الشيخ صالح آل الشيخ في شرحه للحموية والطحاوية.

العلفانبة والحففة الهزدوجة

بفلهم د. أهد إدربس الطعان

الحمد لله الذي أكرمنا بنور الهداية، وأخرجنا من ظلمات الغواية، وجعل لنا في كل شيء آية، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم صلاة دائمة بلا نهاية. وبعد :

فلسفة جميع إيطاليا الرسمية تقريباً [٢]، وأمسى كل التنويريين والوجهاء يتسابقون في تبني الفلسفة الرشدية الإلحادية، التي أريد لابن رشد أن يمثلها بحق أو بباطل - كما أسلفنا - فقد أصبح أغلب المثقفين يعتقدون أن الجحيم من اختراع الأمراء والرؤساء، والصلوات والقرايين من اختراع الكهنة والأخبار، وكل ما تمتلئ به الكتب المقدسة ما هو إلا أقاصيص وخرافات. [٣]

وهكذا فقد كان من آثار الرشدية أن جرأت الناس في الغرب على إعادة النظر في معتقداتهم ومسلمااتهم. وأدى ظهور المطبعة في القرن الخامس عشر [٤] إلى انتشار الأفكار المناهضة للكنيسة والعقائد الشائعة، كما استطاع الأفراد أن يمتلكوا نسخاً من الكتاب المقدس، ويقرؤوه بأنفسهم بعد أن كان اقتناؤه وتفسيره حكراً على الكنيسة ورجالها. وبهذا الشكل بدأت الكنيسة تفقد سلطانها على العقول والأفكار، وبدأ زمام الأمور يفلت من يدها [٥].

لقد رأينا في العدد السابق كيف كان الفكر الرشدي على احتكاك مباشر مع الواقع الأوربي في العصور الوسطى، وكيف كانت سطوته لدى النخبة المثقفة، وكيف جوبه من قبل السلطات الكنسية، إلا أنه رغم القبضة الحديدية التي كانت تمارسها الكنيسة على العلم والفكر فقد استطاع الفكر الرشدي آنذاك أن يثقب ثقباً لا بأس به في الجدران الكنسية السميكة، وقد بدأ هذا الثقب يتمدد واتسع الخرق على الراقع- فشجع الفكر الرشدي الغربيين على الجرأة الجدلية في مواجهة لا أقول الكنيسة وإنما بعض القائمين عليها ممن يُطمأن إليهم، ويؤمن جانبهم، ولكن لم يصبح هذا شائعاً في كل الأوساط، وإنما كان محاولات فردية تحاول أن تقلت من سلطان الكهنوت الكنسي، ورقابة البابا.

ولكن الأمور كانت تسير لصالح الرشديين، فلم يمض قرنان من الزمان حتى أصبحت الأضاليل الرشدية [١] التي كانت تتحاشى العلانية، ويتم تداولها سراً وبحذر، أصبحت في أوائل القرن السادس عشر

أليس هذا هو ما يردده أولئك الذين يتحدثون - في عصرنا - عن أنهم رجال علم لا علاقة لهم بالدين، ولذلك فهم يبيحون لأنفسهم باسم العلم أن يقرروا ما يشاءون من القضايا التي يرفضها الدين، فالدين بنظرهم له مجاله والعقل له مجاله ولا يتدخل أحدهما في شؤون الآخر [٩] لأن العناصر الغيبية في الوحي ليست معقولة. [١٠]

ويبدو أنه بقدر ما أصبح للرشديين من سلطان على العقول، أخذت هذه الفكرة تتمدد في الأوساط الثقافية، فظهر من هؤلاء يونبوناتزي ١٤٦٢ - ١٥٢٥ وهو من أشهر أساتذة بادوفا في ذلك العصر، وكانت جامعتها رشيديّة خالصة وقد تبنى هذا فكرة الحقيقة المزدوجة فأصدر كتاباً أنكر فيه خلود النفس، ثم أعلن خضوعه لتعاليم الدين في الخلود، وكاد أن يُعدم حرقاً ولكنه نجا بحماية أحد الكرادلة له [١١].

ويؤكد يونبوناتزي أن الجمهور الذي يفعل الخير طلباً للثواب الأخروي والنعيم، ويتجنب الشر هرباً من الجحيم لا يزال في طور الطفولة، وبذلك فهو بحاجة إلى الوعد والوعيد، وأما الفيلسوف فيصدر عن المبادئ والبراهين فقط، إن المشرعين بنظره هم الذين ابتكروا الخلود لا عناية منهم بالحقيقة، بل حرصاً على الخير العام، ومن هنا لا يمكن بنظره التوفيق بين العناية الإلهية والحرية الإنسانية، فالأولى ثابتة بالإيمان، والثانية ثابتة بالتجربة [١٢].

ظهر بعد ذلك فرنسيس بيكون ١٥٦١ - ١٦٢٦ كمحام عن نظرية الحقيقة المزدوجة؛ وهي تعني عنده أن ما يثبت بالعقل لا علاقة للإيمان به، الإيمان طريق

غير أنه إذا كان الفصل بين العلم والدين، والقول بالنسبية المطلقة هو من أهم خصائص العلمانية، وأجلى مظاهرها في العصر الحديث، فإن ذلك يعود تكريسه في جانبه الأكبر إلى الرشيديّة اللاتينية، ونُسب ذلك طبعاً لابن رشد.

إن القضية الأصل المثارة هنا هي ما سمي « بالحقيقة المزدوجة » أو « الحقيقة ذات الوجهين » والتي أروم إلى اعتبارها الأساس الأول للعلمانية، والمسمار الأول في نعش الكنيسة [٦].

وتعني - الحقيقة المزدوجة - أنه يمكن أن يكون الشيء صادقاً فلسفياً خاطئاً لاهوتياً أو العكس، وبذلك يصبح الفيلسوف حراً في المجاهرة بآرائه ونتائجه في مجال الفلسفة بحجة أنه فيلسوف، وإن لم تكن مطابقة للاهوت، وبذلك استطاع الفلاسفة أن يحصلوا على قدر من التسامح بوصفهم فلاسفة، يعتبرون موضوعات الإيمان تتجاوز الفهم البشري، وإن كانت نتائجهم الفلسفية تتعارض مع هذه الموضوعات. [٧]

فهذه فكرة - إذن - يراد منها استرضاء الكنيسة دون خسائر علمية أو فلسفية، وعقد نوع من المهادنة بين الكنيسة والفلاسفة. ولقد عبر بترارك عن سخطه من هؤلاء الذين يفصلون بين الدين والفلسفة، ولم يقبل هذه المهادنة، لأنه يعلم أنها بداية النهاية بالنسبة لسلطان الكنيسة، فالرشديون - كما يتحدث - إذا جاهرُوا بمجادلاتهم احتجوا بأنهم يتكلمون مع قطع النظر عن الدين، إنهم يبحثون عن الحقيقة بنبذهم الحقيقة، وإنهم يبحثون عن النور بإدارة ظهورهم نحو الشمس، ولكنهم في السر لا يتركون مغالطة أو تجديفاً. [٨]

الوحي، والعلم طريق العقل.[١٣] وعلى ذلك فالكتاب المقدس شيء، وكتاب الطبيعة شيء آخر [١٤]، والدراسة الفلسفية عنده لا تساند أي استدلال على وجود الله [عز وجل] أو العناية الإلهية، وكل ما يمكن أن نصل إليه من دراسة كتاب الطبيعة هو إثبات وجود إله قادر وحكيم [١٥].

ولذلك أوصى بكون في تقرير رفعه إلى الملك جيمس الأول لإصلاح التعليم، أن تتم المحافظة على هوة عميقة بين العلوم الطبيعية من ناحية، وبين الدين واللاهوت المقدس من ناحية أخرى، ذلك أن الانسجام الاجتماعي والتكامل العلمي يتطلبان بنظره فصلاً صارماً بين هذين الجانبين، فالفيلسوف الذي ينغمس في اللاهوت يخلق مذهباً خرافياً جامحاً، في حين أن اللاهوتي الذي يهتم اهتماماً بالغاً بالفروق الفلسفية والكشوف العلمية ينتهي إلى الزندقة، والمسلك الوحيد المنفذ - بنظره - هو إقامة ثنائية حادة بين العلوم الطبيعية والوحي الإلهي [١٦].

ولم يكن غاليلو ١٥٦٤ - ١٦٤٢ م المعاصر لبيكون بعيداً عن هذه النظرية فقد كان يستشهد بالكاردينال بارونيو عندما قال: «غاية الروح القدس أن يعلمنا كيف نذهب إلى السماء، لا كيف تسير السماوات». [١٧] وكتب لصديق له: «أعتقد أنه يجب أن لا نبتدئ في مناقشة المسائل الطبية بالاستشهاد بأقوال من الكتب المقدسة، ولكن بالتجارب الحسية والبراهين الضرورية» [١٨].

أما سبينوزا ١٦٣٢ - ١٦٧٧ م فقد استمات في الدفاع عن الحقيقة المزدوجة ليجد لنفسه منفذاً يقول

من خلاله ما يشاء دون أن يخشى بطش اليهود، فهو يرفض أن يكون العقل خادماً للكتاب، كما يرفض أن يكون بينهما أي تناقض لأن لكل ميدانه الخاص، ويمكنهما أن يعيشا في وئام [١٩] «فاللاهوت ليس خادماً للعقل، والعقل ليس خادماً لللاهوت، بل لكل مملكته الخاصة، للعقل مملكة الحقيقة والحكمة، ولللاهوت مملكة التقوى والخضوع» [٢٠] فإذا وجد تناقض في الكتاب مع العقل فلا خوف لأنه ليس في مملكة العقل، ويستطيع عندئذ كل فرد أن يفكر كما يشاء دون أي خوف [٢١] ويمكننا أن نبرر قبولنا للعقائد الموحى بها عن طريق اليقين الأخلاقي فقط ولا نملك أكثر من ذلك [٢٢].

من هنا نستطيع أن نؤكد أن المبرر الأول للعلمانية في الغرب هو التناقض الصارخ بين النصرانية الكهنوتية والعقل، وأن هذا كان دافعاً للفلاسفة وأصحاب العقول الحرة إلى البحث عن وسيلة للتخلص من هذا الكابوس الكنسي الذي يجثم على العقل الأوروبي منذ ألف سنة، فلم يجدوا إلا هذه المقولة التبريرية والتي لا يمكن بأي حال قبولها من وجهة نظر فلسفية وعقلية، ولكن الفلاسفة كانوا مرغمين عليها لمهادنة الكنيسة والبحث عن ملجأ لأنفسهم من سطوتها وبطشها.

إن الحقيقة واحدة لا يمكن أن تتعدد، وليس لها إلا وجه واحد، والذي يختلف هو أنظار الناس تبعاً للقرب والبعد منها.

واختلاف أنظار الناس لا يعني بحال من الأحوال اختلاف المنظور إليه.

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم. والحمد لله رب العالمين.

[٩] انظر: زكي نجيب محمود «تجديد الفكر العربي» ص ١٣٥، ١٣٦ دار الشروق – الطبعة التاسعة ١٩٩٣ م.

[١٠] انظر: علي حرب «نقد النص» – المركز الثقافي العربي ص ٩٧ الطبعة الأولى ١٩٩٣ – بيروت.

[١١] انظر: يوسف كرم «تاريخ الفلسفة الحديثة» ص ١٤ ورمسيس عوض «الإلحاد في الغرب» ص ٣٩.

[١٢] انظر: السابق ص ١٥ و «الإلحاد في الغرب» ص ٣٩.

[١٣] انظر: برتراند رسل «تاريخ الفلسفة الغربية» ص ٨١.

[١٤] انظر: جيمس كوليز «الله في الفلسفة الحديثة» ص ١٣٣ ترجمة: فؤاد كامل – مكتبة الغريب – القاهرة ١٩٧٣ د. ط.

[١٥] انظر: جيمس كوليز السابق ص ١٣٦.

[١٦] انظر: جيمس كوليز السابق ص ١٣٣.

[١٧] انظر: جون هرمان راندال «تكوين العقل الحديث» ص ٣٦٨.

[١٨] انظر: راندال «تكوين العقل الحديث» ص ٣٦٨.

[١٩] انظر: سبينوزا «رسالة في اللاهوت والسياسة» ص ٣٦٨. ترجمة د. حسن حنفي.

[٢٠] السابق ص ٣٧٠ – ٣٧١.

[٢١] انظر: السابق ص ٣٧١.

[٢٢] انظر: السابق ص ٣٧٢.

[١] طبعاً هنا بحسب المنظور الكنسي.

[٢] انظر إرنست رينان «ابن رشد الرشدية» ص ٣٦٨.

[٣] السابق ص ٣٦٨.

[٤] بدأت الطباعة سنة ١٤٤٧ م ووصلت إلى إيطاليا سنة ١٤٦٥ م وباريس ١٤٧٠ م ولندن ١٤٨٠ م واستكهولم ١٤٨٢ م، والقسطنطينية ١٤٨٧ م، ولشبونة ١٤٩٠ م وإسبانيا ١٤٩٩ م وهكذا عندما جاء عام ١٥٠٠ م كانت الطباعة منتشرة في كل الأنحاء أوربا. انظر «تكوين العقل الحديث» جون هرمان راندال ص ٢٠٧ ترجمة جورج طعمة د- دار الثقافة بيروت – الطبعة الثانية ١٩٦٥ الجزء الأول.

[٥] انظر: إرنست رينان ص ٢٧٤، ٢٧٥.

[٦] ربما يكون الرشديون اللاتينيون استندوا في ذلك على تفرقة ابن رشد بين الفلاسفة والجمهور في إدراك الحقيقة فالفلاسفة يدركون الحقيقة مجردة بالبرهان، أما الجمهور فيحتاجون إلى التمثيل بالمحسوس لإدراك الحقيقة وتقريبها من عقولهم، وعلى ذلك تكون الحقيقة واحدة عند ابن رشد وليست مزدوجة ولكن الازدواج في طريقة التوصل إليها: انظر: لابن رشد «فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال» ص: ٥٥ فما بعد. تحقيق د. محمد عمارة – دار المعارف ط ٣ / ١٩٩٩ م - القاهرة.

[٧] انظر: وليم كلي رايت «تاريخ الفلسفة الحديثة» ص ٤٠.

[٨] انظر: إرنست رينان ص ٣٤٣.

من أقوال السلف

:Ϣϣϥϧ ϩ ϰϯϱ ϭ Ϯϰϱ ϭ Ϯϰϱ ϭ Ϯϰϱ

J Āp̄z Eōā EŪAn ĒgĀ ò EΛÉp̄ā ** øōā ÉHŪŷt̄ā òzŌΛ Ātō òzŌp̄ ĀĀĒō
 J ĀĀē ÈEōs òāŪ Ž dzāšŌŪ ** øōās ázTĪt̄ā BĀĤōā āŌŁ yāšĒā
 J āzōj ā ŌŌŁ EōĀN āšĀĀŌ ** B j ā gÉHŪŷt̄ā ġ r āŌŌj BŌŁ

:ǦǦǦ ǦǦǦ ǦǦǦ ǦǦǦ

տալե քաճԶԶԶ ձձգ ԵԶ ձաւ քաճ ՍոճՕԻԻ ըն զգճԿԿա թրւլ Բն Աճ Ինճ¹/₄
 յ Օձա Բն յԱԿԱ Բ ՍՕՕձա աճԿԱԿա ԶԶ ՍտԵգՕ տճՕՕ տԿՅ տԵգ ԲԵԱԿ
 ԿԶԱր աճԶԶԶ ՕՕ յԱՕՕ Սձձգ ձՕԼ յԱՕ շՕճ ՍԿՕՕ աճԿԱԿա ԿԶԱր յԶՕԱ
 ԵԱԱ Ան ՕՕ յԱՕՕ ՍԿԵԿԻ ՕՕ ԿԶԱր ՍԿԵԿԻ ՕՕ յԱՕՕ ՍաճԶԶԶ ՕՕ
 .-Զձձա Օձա ԲԱ ԵԱԱ Ան ՕՕ ԿԶԱր գԱՕձա Բն թԿԻ ԲԱ
 (Եժձ ՍոճԿա ՕԿճ ճԱԻ)

:ϕΛ3 ! ā Ƨřø öääóÉöä zäü öÄę

0ÄQΛ Gḡs ḡóé òÄÖŹη δη ϰEÖQΛ Gḡ ÁGḤöä ! ä UÖQΛ J Ü ʔZÖQöä yÄQ¼
 kḗs ϰEḗ sÄDzḡ JZÖΛ sḡÄÁḡ JZÖΛ J Ü ĞÊñ òYḡ ϰÜ ʔÄΛ Äη ÒÈĤä
 ¬yÄÄΣä

(ďČ/Č) Եւրօօշէտօ

وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا

محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية

وإذا شرح الله صدر عبده بنوره الذي يقذفه في قلبه؛ أراه في ضوء ذلك النور حقائق الأسماء والصفات التي تضلّ فيها معرفة العبد، إذ لا يمكن أن يعرفها العبد على ما هي عليه في نفس الأمر، وأراه في ضوء ذلك النور حقائق الإيمان، وحقائق العبودية، وما يصحّحها وما يفسدها، وتفاوت معرفة الأسماء والصفات والإيمان والإخلاص وأحكام العبودية بحسب تفاوتهم في هذا النور، قال تعالى: {أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَخْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا} وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ}.

فيكشف لقلب المؤمن في ضوء ذلك النور عن حقيقة المثل الأعلى، مستويا على عرش الإيمان، في قلب العبد المؤمن، فيشهد بقلبه ربا عظيما قاهرا قادرا أكبر من كل شيء في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله، السماوات السبع قبضة إحدى يديه، والأرضون السبع قبضة اليد الأخرى، يمسك السماوات على أصبع والأرضين على أصبع

والجبال على أصبع والشجر على أصبع والثرى على أصبع ثم يهزّهن، ثم يقول: "أنا الملك"! .. فالسماوات السبع في كفه كخردلة في كفّ العبد، يُحيط ولا يُحاط به ويحصر خلقه ولا يحصرونه، ويدركهم ولا يدركونه، لو أن الناس من لدن آدم إلى آخر الخلق قاموا صفّا واحدا ما أحاطوا به سبحانه، ثم يشهده في علمه فوق كل عليم، وفي قدرته فوق كل قدير، وفي جوده فوق كل جواد، وفي رحمته فوق كل رحيم، وفي جماله فوق كل جميل، حتى لو كان جمال الخلائق كلهم على شخص واحد منهم ثم أعطي الخلق كلهم مثل ذلك الجمال؛ لكانت نسبته إلى جمال الرب سبحانه دون نسبة سراج ضعيف إلى ضوء الشمس!

ولو اجتمعت قوى الخلائق على شخص واحد منهم، ثم أعطي كل منهم مثل تلك القوة؛ لكانت نسبتها إلى قوته سبحانه دون نسبة قوة البعوضة إلى حملة العرش، ولو كان جودهم على رجل واحد وكل الخلائق على ذلك الجود لكانت نسبته إلى جوده دون نسبة قطرة إلى البحر، وكذلك

وسكناتهم وظواهرهم وبواطنهم، فله عليهم حكم وأمر في كل تحريكة وتسكينة ولحظة ولقطة.

وينكشف له في هذا النور عدله وحكمته ورحمته ولطفه وإحسانه وبرّه في شرعه وأحكامه، وأنها أحكام رب رحيم محسن لطيف حكيم، قد بهرت حكمته العقول، وأقرّت بها الفطر، وشهدت لمنزلها بالوحدانية، ولمن جاء بها بالرسالة والنبوة، وينكشف له في ضوء ذلك النور إثبات صفات الكمال، وتنزيهه سبحانه عن النقص والمثال، وأن كل كمال في الوجود فمعطيه وخالقه أحق به وأولى، وكل نقص وعيب فهو سبحانه منزّه متعال عنه.

وينكشف له في ضوء هذا النور حقائق المعاد واليوم الآخر، وما أخبر به الرسول عنه، حتى كأنه يشاهده عياناً، وكأنه يخبر عن الله وأسمائه وصفاته وأمره ونهيه ووعدته ووعدته إخبار من كأنه قد رأى وعان وشاهد ما أخبر به، فمن أراد سبحانه هدايته شرح صدره لهذا؛ فاتسع له وانفسح، ومن أراد ضلالته جعل صدره من ذلك في ضيق وحرّج لا يجد فيه مسلكاً ولا منفذاً.

والله الموفق المعين وهذا الباب يكفي اللبيب في معرفة القدر والحكمة ويطلعه على العدل والتوحيد الذي تضمنهما قوله: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ}.

من كتاب: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ص (١٠٨-١٠٩).

علم الخلائق إذا نسب إلى علمه كان كنقرة عصفور من البحر، وكذلك سائر صفاته، كحياته وسمعه وبصره وإرادته، فلو فرض البحر المحيط بالأرض مداداً تحيط به سبعة أبحر وجميع أشجار الأرض شيئاً بعد شيء أقلام؛ لفني ذلك المداد والأقلام، ولا تفنى كلماته ولا تنفذ، فهو أكبر في علمه من كل عالم، وفي قدرته من كل قادر، وفي وجوده من كل جواد، وفي غناه من كل غني، وفي علوه من كل عال، وفي رحمته من كل رحيم.

استوى على عرشه، واستولى على خلقه، متفرد بتدبير مملكته فلا قبض ولا بسط ولا منع ولا ضلال ولا سعادة ولا شقاوة ولا موت ولا حياة ولا نفع ولا ضرر إلا بيده، لا مالك غيره، ولا مدبر سواه، لا يستقل أحد معه بملك مثقال ذرة في السماوات والأرض ولا له شركة في ملكها، ولا يحتاج إلى وزير ولا ظهير ولا معين، ولا يغيب فيخلفه غيره، ولا يعي فيعيّنه سواه، ولا يتقدم أحد بالشفاعة بين يديه إلا من بعد إذنه لمن شاء وفيمن شاء.

فهو أول مشاهد المعرفة، ثم يترقى منه إلى مشهد فوقه لا يتم إلا به، وهو مشهد الإلهية، فيشاهده سبحانه متجلباً في كماله بأمره ونهيه ووعدته ووعدته وثوابه وعقابه وفضله في ثوابه، فيشهد ربا قيوماً متكلماً آمراً ناهياً، يحب ويبغض، ويرضى ويغضب، قد أرسل رسله، وأنزل كتبه، وأقام على عباده الحجة البالغة، وأتم عليهم نعمته السابغة يهدي من يشاء منه نعمة وفضلاً، ويضلّ من يشاء حكمة منه وعدلاً، ينزل إليهم أوامره، وتعرض عليه أعمالهم، لم يخلقهم عبثاً، ولم يتركهم سدى، بل أمره جارٍ عليهم في حركاتهم

شخصية المرأة المسلمة..
استقلالية أم قبيعية؟!

بقلم م. أميرة الجلاب

هندسة اتصالات وإلكترونيات وباحثة في قضايا المرأة

من الأصول العامة العظيمة التي جاء بها الإسلام، إعلاء كرامة الإنسان، رجلاً كان أو امرأة، وحفظ حقوقه، واحترام شخصيته، لقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾.

وإن موقف الإسلام من العلاقة بين الرجل والمرأة -كما هو شأنه دائما- موقف الوسط بين الإفراط والتفريط، بين الندية التماثلية والمساواة الكاملة، وبين التسلط المفرط والمصادرة!

موقف الوسط بين الاستقلالية التامة، والتبعية المطلقة!

المنضبطة بضوابط الشرع، وفي المقابل، وضع الحدود والضوابط التي تصلح لضبط عموم الناس، وخواصهم في علاقاتهم مع بعضهم البعض داخل المنظومة العامة للمجتمع.

«إِنَّ تَبِيعَةَ الْمَرْأَةِ الْمُتَزَوِّجَةِ لَزَوْجِهَا، أَوِ الْبِكْرِ
لِلرِّجَالِ الْمَسْئُولِينَ عَنْهَا مِنْ أَسْرَتِهَا، لَيْسَتْ مَعْنَاهَا عَدَمُ
الْخِيَرَةِ لَهَا فِي شَأْنِهَا، بَلِ الْمُرَادُ بِهَا أَنَّهُ لَمَّا كَانَ الرَّجُلُ
هُوَ الْمَسْئُولُ عَنْ حِفْظِ النِّظَامِ الْاجْتِمَاعِيِّ مِنَ الْفَوْضَى
وَالْإِخْتِلَالِ، وَصِيَانَةِ أَخْلَاقِ الْأُسْرَةِ وَشُؤْنِهَا عَنِ الْفِتَنِ
الْدَاخِلِيَةِ وَالْخَارِجِيَةِ، فَقَدْ فُرِضَ عَلَى الْمَرْأَةِ -حِفْظُ لِهَذَا
النِّظَامِ - أَنْ تُطِيعَ الرَّجُلَ الَّذِي هُوَ مَسْئُولُ عَنْهَا» (١)

وإن كانت التبعية تعني الطاعة، فإنها طاعة
مقيّدة بضوابط، ومشروطة بشرطين: المعروف
والاستطاعة، قال صلى الله عليه وسلم: **أَمْرٌ مَعْرُوفٌ مُسْتَعَارٌ**
أَمْرٌ مَعْرُوفٌ مُسْتَعَارٌ، وقال: **أَمْرٌ مَعْرُوفٌ مُسْتَعَارٌ**

وهذا المنهج الإسلامي الوسط، كان سببا في تحقيق التوازن للمجتمعات المسلمة لآماد طويلة، وهو الذي ساهم في حفظ استقرار الأسرة المسلمة، وسلامة المجتمع من آفات خطيرة -مثل ارتفاع معدلات الطلاق ونحوه- لم تكن قد استشرت كما استشرت اليوم بعد غياب هذا المنهج، وإنّ تغلغل النموذج الغربي الخاص بأوضاع المرأة في ثقافة هذه المجتمعات اليوم، كان أحد الأسباب الرئيسة في اختلال هذا التوازن؛ الأمر الذي بات يهدد كيان الأسرة، والمجتمع ككل.

يضمن الإسلام علاقة متزنة وعادلة بين الرجل والمرأة، وليس صحيحا ما يفتريه البعض، أنّ الإسلام ضرب على المرأة من العبودية والتبعية للرجل ما أدّى إلى إلغاء شخصيتها، ومصادرة استقلاليتها بالكامل؛ ذلك، لأنّ التشريع الإسلامي أعطى المرأة الحرّية والاستقلالية التامة فيما ينفعها، ويعود عليها وعلى المجتمع بالخير والصلاح، وكفل لها الحرّية

وقال أيضا: $y\ddot{a}z\text{!}f\frac{1}{2}$ - $z\ddot{a}z\ddot{u}z\text{!}f\ \ddot{o}5\ +z\ddot{u}z\text{!}f$
 $\ddot{G}\ddot{a}z\ \ddot{U}l\ddot{z}+\ddot{A}\ \gamma\sigma\ddot{o}\ \ddot{G}\ddot{a}z\ddot{o}5\ \ddot{D}\ddot{z}\text{!}f\ \ddot{C}z\ddot{u}z\text{!}f\ \ddot{I}\ddot{z}\ +z\ddot{u}z\text{!}f\ddot{A}$
 $\ddot{U}\ddot{A}\ y\ddot{a}z\text{!}\ \ddot{U}5\ +\ddot{o}\ \ddot{T}z\ddot{u}z\text{!}f\ \ddot{Z}\ddot{u}z\text{!}f\ \ddot{R}\ddot{z}5\ \ddot{U}+\ddot{o}\ \ddot{T}z\ddot{u}z\text{!}f\ \ddot{Z}\ddot{u}z\ddot{o}\ \ddot{D}\text{!}$
 $\ddot{G}\ddot{a}z\ \ddot{N}\ddot{u}q\ddot{a}z\ \ddot{f}\ddot{A}\ddot{K}\ddot{a}5\ \ddot{Z}\ddot{u}z\ddot{u}z\text{!}f\ \ddot{D}\ddot{z}\ddot{u}z\text{!}f\ \ddot{f}\ddot{A}\ddot{g}\frac{1}{2}$
 وقال: (٤)، $+z\ddot{u}z\text{!}f$
 $\ddot{D}\ddot{z}\ddot{u}z\text{!}f$ - (٥).

وإن كانت التبعية مقابل الاستقلالية، فإن الإسلام أعطى الاستقلالية للمرأة كما أعطاه للرجل في أمور كثيرة، ومنها أنه «أقرَّ للمرأة حقَّ التملك ما دام عن طريق مشروع، كما أقرَّ لها حقَّ الميراث، وأعطاه الصَّلاحية التَّامة في التصرف بأموالها، وقد أقرَّ الإسلام نفاذ صدقة الزوجة من مالها الخاص بغير إذن زوجها، فإن تصدَّقت بمالها كلَّه فلا حرج على الزوجة في ذلك، وإن لم يأذن زوجها في ذلك؛ لأنَّ للمرأة ذمَّةً ماليَّةً مستقلة كالرجُل، وحقُّها في التصرف في مالها أمرٌ مقرَّر في الشريعة ما دامت رشيدة؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: ٦]، وهو ظاهر في فك الحجر عنهنَّ، وإطلاقهم في التصرف. كما جعل الإسلام رضاها شرطاً رئيساً في صحَّة الزواج، وحرَّم على الأولياء إكراهها على ذلك؛ فهي صاحبة القرار في الرضا بالزواج ابتداءً؛ إذ ليس لوليِّها أن يعضلَّها ويمنعها من ذلك، فإن فعل انتقلت الولاية إلى من بعده، كما أنها صاحبة القرار في الرضا بالزوج الذي تقدَّم لها» (٦).

«والمرأة كذلك، لها حصانتها القانونية، ولها حقُّ التقاضي ورفع الظلم إن وقع عليها، وكثيرات هنَّ النساء اللاتي جنن إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يشكين من الظلم الواقع عليهن من بعض أقاربهن؛ فأنصفهن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ورفع عنهن ذلك الظلم، فمنهن تلك التي منعها أخوها عن الزواج ممن ترضى، فجاءت تشكوه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، فنزل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ

أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاصُوا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (٧)، وتلك التي زوجها أبوها وهي كارهة، فردَّ الرسول صلى الله عليه وسلم نكاحها» (٨).

وأعلن الإسلام المساواة والتكافؤ بين الحقوق، والواجبات الأسرية للمرأة، فقال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾، وأعلن كذلك، حقَّها في الشورى داخل الأسرة في أمر الأبناء وتربيتهم وغير ذلك من أمور الأسرة، فقال تعالى في شأن فطام الأبناء: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾، وقال: ﴿وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾، أي ليأمر كل واحد من الزوجين الآخر بالمعروف في شئون الأسرة، من إرضاع للأبناء وتربيتهم وغير ذلك» (٩).

ومن صور الاستقلالية التي تتمتع بها المرأة المسلمة، أن الإسلام هو الذي جعلها لأول مرة في التاريخ «أمر»؛ وما كانت تُعرَف في غير دين الإسلام إلا «مأمورة»؛! حين كلفها بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فبوأها مكانة اجتماعية وإنسانية عالية، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

ومن الأمثلة الرائعة التي تبرز استقلال المرأة المسلمة بشخصيتها، وحُرِّيَّة إرادتها، موقف الصحابية أسماء بنت أبي بكر الصديق -رضي الله عنهما- مع الحجاج بن يوسف الثقفي - ذاك الطاغية الظالم - حين استحلَّ حرمة البيت الحرام في مكَّة المكرمة، وقتل ابنها عبد الله بن الزبير -رضي الله عنه-، ثم أرسل إليها يدعوها لتأتي إليه، «فَأَبَتْ أَنْ تَأْتِيَهُ!، فَأَعَادَ عَلَيْهَا الرَّسُولَ لَتَأْتِيَنِّي أَوْ لَأَبْعَثَنَّ إِلَيْكَ مَنْ يَسْحَبُكَ بِقُرُونِكَ،

مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ [المتحنة: ١٠].

ومن تلك النصوص تتجلى استقلالية الشخصية الدينية للمرأة، وأنه لا أحد يقرر لها معتقدها، وإنما هي التي تقرر بإرادتها الحرة.

بل ضرب لنا القرآن المثل في استقلالية شخصية المرأة وحريتها الاعتقادية، حتى في المجال السلبي، وذلك عندما ضرب الله سبحانه وتعالى المثل بكفر امرأة نوح وامرأة لوط، قال تعالى: **﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [التحريم: ١٠].**

ثم ضرب لأهل الإيمان مثلاً آخر عظيماً بامرأة فرعون: **﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحريم: ١١]**، امرأة فرعون في بيت الطاغية الأكبر، مدعي الربوبية والألوهية، الذي قال: **﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصاص: ٣٨]**، تستقل بشخصيتها، وتحافظ على عقيدتها، وتتشبث بإيمانها، وتتحدى الطغيان، يضرب لنا القرآن المثل بها، مبيّناً لأي مدى يمكن أن تستقل المرأة بشخصيتها وفكرتها، وتأبى التبعية للباطل، حتى لو كان هذا الباطل هو «فرعون»!، مضرب المثل في البطش، والقهر، والطغيان، والتكبر.

شبهة وردّها!

ورغم ذلك، وجدنا من يحاول الطعن في استقلالية الشخصية الدينية للمرأة المسلمة، ويثير شبهة واهية، أصوغ مفادها في أثناء هذا السؤال: «هل صحيح

قَالَ: فَابْتُ !، وَقَالَتْ: «وَاللَّهِ لَا أَتِيكَ حَتَّى تَبْعَثَ إِلَيَّ مَنْ يَسْحَبُنِي بِقُرُونِي»! قَالَ فَقَالَ: أَرُونِي سِبْتِي فَأَخَذَ نَعْلَيْهِ ثُمَّ انْطَلَقَ يَتَوَدَّفُ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: كَيْفَ رَأَيْتَنِي صَنَعْتُ بِعَدْوِ اللَّهِ، -يعني: ابنها، وكانت قد كبر سنها وامي بصرها وهو قاتل ابنها، ورغم ذلك يحدثها بغطرسة وجبروت!- قَالَتْ: «رَأَيْتُكَ أَفْسَدْتَ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ، وَأَفْسَدَ عَلَيْكَ آخِرَتَكَ»!!، ثم قالت له: «أَمَّا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَدَّثَنَا أَنَّ «فِي تَقْيِفِ كَذَّابًا وَمُبِيرًا»، فَأَمَّا الْكَذَّابُ فَرَأَيْنَاهُ، وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَلَا إِخَالِكَ إِلَّا إِيَّاهُ»!!، فأخذ الحجاج نفسه، ولم يراجعها، ومضى لا يلوي على شيء! (١٠) فقد كانت مواجهة قوية تلوح عليها علامات العزة والإباء من امرأة عجوز عمياء... لكنها تعلم أنها تستطيع ذلك، وأنها تمارس حقها الذي حباها به الإسلام!

الاستقلالية الدينية للمرأة في ظل الإسلام

والإسلام حين كفل حرية الاعتقاد، بقوله تعالى: **﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]**، أي ليس هناك إكراه على الناس أن يدخلوا في الإسلام قهراً أو غصباً، وأباح للمسلم أن يتزوج بالكتابية؛ لم يجعل من شرط زواجه بها أن تسلم! ولا من حقه أن يكرهها على الدخول في الإسلام، وإنما جعل ذلك باباً من الأبواب الذي قد يحصل بها الإقناع، والتأثير من خلال المعاملة الطيبة والقُدوة الحسنة.

وقد أعطى الله تعالى المرأة الحق في اعتناق الإسلام، وفرض على المجتمع المسلم أن يحميها إذا أرادت أن تسلم ممن يريد أن يضطهداها في دينها، قال تعالى: **﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ**

حتى في العقيدة؟»

الجواب: كلا..

بل ثبتت «أم حبيبة» على دينها وإيمانها... وكانت لها استقلاليتها الكاملة في هذا الشأن عن الرجل، وذلك رغم صعوبة فراق الزوج على نفس المرأة؛ إلا أنها واجهت المحنة وصبرت بيقين... فنالت الجائزة الإلهية بعد حين، لما أرسل النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى النجاشي يخطبها لنفسه !

وهذه هي السيدة «سُمَيَّة» -أم عمار بن ياسر، أول شهيدة في الإسلام- تتحدى أبا جهل فرعون هذه الأمة، وتمرّع كبريائه في التراب، فلم يستطع أن ينال منها كلمة تتنازل بها عن عقيدتها، أو تتخلى عن إيمانها، وكانت النموذج الحيّ القويّ في ثباته، واستقلاليتها، وقوته! هل كانت «سُمَيَّة» لتصمد أمام ذلك التعذيب الوحشيّ، إن كان إيمانها مبنيا على التبعية لزوجها؟ أم أنّ صمودها كان ثمرة اقتناع تغلغل في أعماق نفسها، واستحوذ على شغاف قلبها؟!

وهذه هي الصحابية «نُسَيْبَةُ بنت كعب» -رضي الله عنها- تدافع بنفسها الدفاع المُستَمِيت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يوم أحد، وتتلقى بشجاعة ضربات السيوف على عاتقها! هل كانت لتفعل ذلك، إن كان إيمانها مجرد اتباع لزوجها؟ أم هو اليقين الراسخ الذي يهدّ الجبال؟!

أمّا الصحابية الجليلة «أم شريك» -رضي الله عنها- فقد انطلقت من نفسها، تدعوا إلى الله تعالى في أصعب الظروف وأشدّها حرجا، فكانت تدخل على نساء قريش سراّ تدعوهن وترغبهن في الإسلام، حتى

أنّ المسلمات الأوائل كنّ تابعات في إسلامهن لزوج أو أب أو أخ؟ وهل أثرت وضعية المرأة في المجتمع العربي قبل الإسلام كتابع للرجل على وضعيتها بعد الإسلام؛ فظلت تابعا حتى في العقيدة؟!

وللردّ على هذا، نقول: وهل يعقل أنّ هذه الصور العظيمة من الصبر، والتضحيات الهائلة، التي بذلتها المسلمات الأوائل، كانت عن تبعية عمياء للرجل، وليست عن اقتناع شخصي وبيقين داخلي؟!

إنّ مَنْ له أدنى معرفة بالتاريخ الإسلامي، واستقراء لسير الصحابات -رضوان الله عليهن- لا يستطيع أن يغفل تلك الصور المشرقة لاعتزاز المرأة المسلمة بعقيدها، وتضحيتها في سبيلها، والصبر على الأهوال، مما يدل على استقلالية في القرار، وصمود نابع من ذاتها، وما كان ذاك الصمود العجيب إلا ثمرة اعتزازها بكيانها، وعلمها بما حباها به الإسلام من حريّات، وصلاحيات واسعة.

لما جاء الإسلام أسلمت المرأة وهاجرت، رغم كفر الزوج والأب وكافة الأقارب من الرجال، فها هي الصحابية «أم حبيبة، رملة بنت أبي سفيان بن حرب» تسلم، رغم أنّ أباهما كان إذ ذاك من رؤوس الكفر، وتهاجر مع زوجها عبيد الله بن جحش إلى الحبشة، إلّا أنّه ارتدّ هناك وتنصّر، فعظم عليها المصاب، واجتمع عليها بلاء الغربة، وارتداد الزوج، ومفارقة الوطن، فماذا كانت النتيجة؟.. هل ارتدت هي أيضا عن دينها (بالتبعية لزوجها)؟.. هل تنصّرت؟ هل تزعزعت عن موقفها؟..

«هل حقّا أثرت وضعية المرأة في المجتمع العربي كتابع للرجل، على وضعيتها بعد الإسلام؛ فظلت تابعا

لم تكن أم سليم على استعداد أن تتنازل عن دينها طرفة عين... مهما كان هذا الرجل الذي تقدم لخطبتها... وهو من هو!.. سيد من سادات المجتمع، ذو المنزل المرموقة، والثروة الطائلة، وهو إلى ذلك فارس بني «النجار»، وأحد رُماة «يثرب» المعدادين!

فأين التبعية إذن؟!...

إنّ موقف الصحابية أم سليم... لو نظر إليه هؤلاء وفقاً لمنطقهم المغلوّط من حتمية وجود تبعية ما؛ لأصبح الرجل - بناءً على وجهة نظرهم القاصرة - تابعاً للمرأة!

ولكن ما يعلمه هؤلاء ويتجاهلونه، هو أنّ هذا الجيل الخيّر كانت التبعية فيهم للحق أينما كان دون اعتبار لجنس أو لون.

إنّ الصحابية الجليلة أم سليم كان عليها أن تتخذ قراراً من أهم القرارات المصيرية في حياة أي امرأة... فاتخذت القرار!.. فنزل قرارها كالصفعة على وجه هذا الإدعاء المزعوم!!

لقد برهن هذا الموقف على أمور رائعة، ونياشين تتمتع بها المرأة في ظلّ الإسلام، فهي التي تصنع الحياة! حياتها الخاصة، والحياة عامة، وهي التي في يدها أن تبني المجتمع كما تريد، وهي التي في يدها أن تقرر إيجاد نوع من أنواع الحياة الاجتماعية من عدمها، بناءً على اعتقادها هي إنّ أرادت، وليس بناءً على اعتقاد الرجل.

استقلالية المرأة المسلمة أهلتها أن تتخذ القرار المصيري في بناء حياتها المستقبلية، وحياة أسرتها المرتقبة، ونواة مجتمعها، بناءً على الاعتقاد

الصحيح، وبعيدا عن التبعية المزيفة لأي نوع مُضَلَّل من زخارف الدنيا وزينتها. أهلتها هذه الاستقلالية أن تجعل نواة هذا المجتمع قائمة على العقيدة في الأول والأخير، وعلى قضية العقيدة تتوقف عندها الحياة أو تسير!

ولا غرو؛ إنّ الدين العظيم، الذي إذا تغلغل في أعماق النفس، تذوّق صاحبه طعم كرامة الإنسان!

الهامش:

- ١- «الحجاب»، أبو الأعلى المودودي، ص ١٢٢.
- ٢- صحيح الجامع، الألباني.
- ٣- رواه البخاري ومسلم.
- ٤- رواه البخاري.
- ٥- رواه البخاري.
- ٦- «القوامة الشرعية للرجل»، د. عبدالودود مصطفى السعودي.
- ٧- أخرجه البخاري (٥١٣٠).
- ٨- أخرجه النسائي (٣٢٦٩) وابن ماجه (١٨٧٤) وضعفه الألباني.
- ٩- مرجع: «المرأة قبل وبعد الإسلام»، كتيب من موقع www.al-islam.com
- ١٠- رواه مسلم.
- ١١- صفة الصفوة ابن الجوزي ص ١٨٤.
- ١٢- رواه مسلم.
- ١٣- صحيح النسائي، الألباني.



gÄÖz ʉL áÉĤōā ĞōāîÊŋ
tʂʰ ɛĤōŌ ɓŮ 8 Áó
kǣ ŌðǻzQōā dŋ ÁΛÁDZ

ĞăĀDZqă Ž ĖĖĖĖ ŪăĖĖĖă ğ ƒĀŌŋ 0zğ ĞŸĀĖŪ d3 gŌĀ3 ĞŌăĀĖĵăŝ ŪŏăĀŌŏăŝ ĞŸDztă
 .ĀĖztŔŋ dŋ gĀĀĀŦĖŝ ĀTtTzŝ ğ ƒĀŌŧă gŏăĀĖ ĀTĀ3

:ĞŌǻĀÊțǻ řșǺĩ

.ϕŸñǎás ?ĖQAtā žóÀn dn ktÿÊtā ōĀRzjā zEtz ĞgzQAn GōāĒÊtā ✓
ĞAzRz ŌDzÊķ ϕō yĀYΛ Āur Ū?ĖQAtā Ž ī Ālā lĖŌōā Ž ĞHĖHUŌōā ĞāADZqā zřš ✓
.?ĖQAtā Ž

.Б̂ĀQōā ā́ĖĤōā 0sĖ ò Gg ġ ĀāĀDZqā òĀĠQōēā ĀtQĖĀ ✓
 ЪĒĀĀā ɾŸ ŌōŌā ЬTŋŸ3Ůs Ū?ĖQĀtā Ž ЬTɛĀŌkŝ ŪɔΛĀāĀōā ɔ3 jŸ3qā ЬQ —
 3ŋ ŪĠŸDztā āāĖ3Ů ɔŋ Б̂ĀQōā ā́ĖĤōā Ž ĠHŮĤHŌōā ġ ĀāĀDZqā ô Ā3 3ŋ ŪɔsĀQŌōqā
 .ĖĖzzQōĀā 3ĖtDzŸō ĀĀĤĀĖĀŬ

مسابقة العدد

السؤال الأول: اختر الإجابة الصحيحة مما يلي:

الشافعي

الغزالي

ابن تيمية

«ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطو» هي مقولة:

سُمَيَّة "أم عمار بن ياسر"

الصحابيَّة التي أسلمت رغم كفر أبيها، وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها إلا أنه ارتدَّ هناك وتنصَّر، فثبتت على دينها ولم تنزعزع هي:

أم حبيبة "رمة بنت أبي سفيان"

أم سُليم "الرُميصاء بنت ملحان"

السؤال الثاني: ضع (صح) ✓ أو (خطأ) ✗ :

- ١- التسليم لله تبارك وتعالى عند العوام لا يقوم على البرهان.
- ٢- لا حدود لما تدركه العقول، والقول بخلاف ذلك امتهان للعقل والإنسان.
- ٣- رفض المفكر الفرنسي الشهير أندريه جيد أن تُترجم أعماله إلى العربية.
- ٤- الأدب المكشوف والفن العاري من سمات البيئة اليونانية بعد ظهور المذاهب السفسطية بها.
- ٥- إن موقف الإسلام من العلاقة بين الرجل والمرأة موقف الوسط بين الاستقلالية التامة، والتبعية المطلقة، مما يعني ضبط النظام الاجتماعي وحفظه من الفوضى والاختلال.
- ٦- أثَّرت وضعية المرأة في المجتمع العربي كتابع للرجل، على وضعيتها بعد الإسلام؛ فظلت تابعا حتى في العقيدة!
- ٧- إن المبرر الأول للعلمانية في الغرب هو التناقض الصارخ بين المسيحية الكهنوتية والعقل.
- ٨- الحقيقة المزدوجة هي فكرة أُريد منها استرضاء الكنيسة دون خسائر علمية أو فلسفية.
- ٩- من الممكن -عقلا- تكذيب نظرية داروين -ومن ثم القول بموافقتها لمبدأ بوبر- باكتشاف حفريات ذات مواصفات خاصة.
- ١٠- يشترط في النظرية العلمية حتى تدخل في دائرة العلم الطبيعي أن تكون فرضياتها قابلة للتكذيب بالدليل المشاهد الذي لا يقبل التأويل والاحتمال وأن تكون فرضيتها الأساس موافقة لضروريات العقل الصحيح.

نظرية داروين..



تحت شفرة أوكام ومطرقة بوهر!!!

بقلم أ. أبو الفداء

الموحد: لا عجب! فهو دينك الذي تدين به، وتعقد عليه قلبك، كما هو شأن سائر ملاحدة العلوم الطبيعية في هذا الزمان. فاسمع إذن ما عندي، وقارني الحجة بالحجة إن استطعت!

الملحد (متبرما): هات ما عندك!

الموحد: أقول - ومن الله العون والسداد -: ما قولك أولاً في هذا التقرير: «إن كلّ دعوى لا يمكن تكذيبها من خلال أدلة تقوم على الحس، والمشاهدة، والتجريب، والاشتقاق الرياضي، فإنّها لا توصف بأنها من دعاوى العلم الطبيعي»؛ هل توافقني عليه؟

الملحد: لا بأس به... وهو موافق في الجملة لمبدأ مهم من مبادئ العلم الطبيعي، التي قررها الفيلسوف الإنكليزي كارل بوهر، ألا وهو مبدأ «قابلية التكذيب» Falsifiability.

الموحد: عظيم! فكلّ دعوى لا يمكن نفيها من خلال وسائل العلم الطبيعي، فإنّ صاحبها لا يوصف كلامه، بأنه

الموحد: أنتم تزعمون أنّ كلام من تسمّونهم بالخلقين، فيما يسمى بنظرية Intelligent Design ونظرية Irreducible Complexity وغيرهما، ليس على شرط العلم الطبيعي Scientific Method، أليس كذلك؟

الملحد: بلى، ولا شك...

الموحد: فما قولك إن أثبتّ لك الآن أنّ نظرية داروين، ليست على شرط العلم الطبيعي كذلك، ولا تدخل في حدّه فلسفياً؟

الملحد: هراء! نظرية داروين أضحت أساساً من أسس العلم الطبيعي في هذا الزمان، وعليها إجماع علماء الطبيعيات في شتى المجالات!

الموحد: دعنا نرجئ الكلام على قضية الإجماع هذه، حتى أفرغ من بيان ما عندي.

الملحد: لا بأس... وإن كنت لا أرى فائدة من طرح دعوى كهذه للنقاش أصلاً!!

الملحد (غاضبا): ما هذا الكلام؟ بل هي ثابتة بمئات الآلاف من الأدلة، كما لم يتوافر لنظرية من نظريات العلم من قبل!!!

الموحد: هذه الأدلة الكثيرة التي تدعونها، ليست ظواهر تدل دلالة قاطعة للنزاع على ما تزعمون! وإنما هي ظواهر ترون إمكان تفسيرها بما يوافق نظريتكم، مع كونها في الحقيقة قابلة - كل واحدة منها، بلا استثناء - لتأويلات، واحتمالات أخرى، لا حصر لها! (وكل تأويل ينفي عمل الخالق المدبر عنها، فهو مخالف لضرورة العقل!)

لقد اشترط بوبر لإبطال نظرية من النظريات العلمية الطبيعية، أن يكون بالإمكان - عقلا - أن يظهر في يوم من الأيام دليل مادي مشاهد، يقطع إما بصحة النظرية أو بطلانها... فما هو الدليل الذي تطالبوننا به - من صنوف الأدلة الطبيعية - حتى تثبت لكم بطلان تلك النظرية؟؟؟

الملحد (بعد برهة من السكوت): نطالبكم بإثبات أن هناك خالقا كما تدعون، من خلال وسائل العلم الطبيعي، وأن هذه الظواهر، لا يمكن أن تقع على النحو الذي تصفها به نظرية داروين!

الموحد: وكيف يرام إثبات هذه الأشياء من خلال المشاهدات الطبيعية؟؟؟

ثم إننا معاشر الموحدين من أهل الإسلام - ولا يعني ما يظنه أو يدعيه من تطلقون عليهم اسم «الخلقين» - لم نقل إن إثبات وجود الخالق يصح أن تُلتمس إليه طرائق العلم الطبيعي، أو أن شيئا مما يشاهده الناس من المشاهدات الحسية في هذا العالم أيّا كان، يمكن أن يكون دليلا نافيا لوجوده سبحانه!! فهو عندنا ضرورة عقلية، ليس يرام إثباتها، أو نفيها في المعامل، وتحت المجاهر، ولا يمكن ذلك!!

من العلم الطبيعي. اتفقنا على هذا. وأضيف كذلك أن العلم الطبيعي، يقوم على وضع افتراضات Hypothesis لتفسير المشاهدات، والظواهر الطبيعية، ثم يجري الاختبارات، والتجارب، ويجمع الملاحظات للنظر في صحة تلك الافتراضات من عدمها.

الملحد: نعم، هو كذلك.

الموحد: إذن، نخرج من هذه المقدمة بنتيجة هي: «أن كل دعوى تفسيرية لظاهرة من الظواهر الطبيعية، لا يمكن إثباتها بهذه الوسائل، وبهذه الوسائل فقط، فإنها ليست من العلم الطبيعي في شيء».. فهل توافقتي على هذا؟

الملحد: بلا شك.

الموحد: إذن، فنظرية داروين في أصل الأنواع، ليست من العلم الطبيعي في شيء! **الملحد:** كيف هذا؟؟؟؟؟؟؟؟

الموحد: تقوم نظرية داروين على افتراض تفسيري، يراد به تفسير نشأة الحياة على سطح الأرض، ومعرفة أصل الأنواع... أليس كذلك؟

الملحد (متحزرا): بلى!

الموحد: تزعم النظرية: «أن الكائنات كلّها انحدرت من أصل واحد، بآليات «عشوائية» عبر بلايين السنين»... فأنت - بزعمها - سليل القردة العليا، والقردة العليا سليله لكائن آخر يتسلق الأشجار، وهذا بدوره سليل لكائن من الزواحف، وهكذا وصولا إلى الجد الأكبر الكائن أحادي الخلية، الذي نشأ صدفة في «شوربة» الأحماض الأمينية!

وهذه الدعوى العريضة، لا يمكن إثباتها بأيّ طريق من طرق العلم الطبيعي! (هذا، فضلا عن تشوهها العقلي الفلسفي الأصيل، الذي هو خارج عن مادة هذا الحوار).

ولظلت أعناقهم لتلك الآية خاضعين، ثم هم لا يُنظرون بعد ذلك، ولا يكون لبقائهم في دار الامتحان من معنى! ولذا فإنّ العقل يلزم منه ألا يقع ذلك الحدث الأكبر إلا في نهاية الزمان، وهذا هو عين ما ينص عليه القرآن! لن يراه المؤمنون سبحانه جهرة إلا يوم تنشق السماء وتقوم الساعة، ويكون قد قضي أمر الحياة الدنيا كلّها!! (أما الكافر فلن يتنعم برؤيته أبداً)

ثم إنّ قولك بأنّه يتدخل في أحداث العالم، هذا قول باطل تحتاج إلى إخراج دليل ينفيه (من جنس أدلتك الطبيعية، ولا يمكنك ذلك)، والعقل الصحيح يرفضه (على هذا التصور)! فالقائل به، يزعم بموجبه أنّ الخالق في الأصل، لا فعل له في العالم، ولا تأثير، إلا عندما «يتدخل»، و«يوجه» من حين لآخر، وهذا يخالف ضرورة العقل، التي توجب أن يكون لهذا الخالق سلطانا تاماً غير منقوص على سائر خلقه، وإلا انتقضت صفة كمال العلم اللازمة له عقلاً.

والآن أدعوك إلى التأمل في هذه الحجج التي تقدم ذكرها، هل هي من العلم الطبيعي في شيء؟؟؟؟
المُوحّد: كلا، ولهذا نقول لكم إن الخلق ليس تفسيراً علمياً ولا كافياً!!

المُوحّد: مهلاً مهلاً! من الذي قال إنّ علوم البشر لا سبيل لتحصيلها، إلا طرائق العلم الطبيعي Scientific Method؟؟؟ إن كنت تقصد بالتفسير العلمي ما يدخل تحت شروط العلم الطبيعي، فنعم صحيح، حدث الخلق الأوّل ليس يمكن إثباته، ولا نفيه بأيّ وسيلة من وسائل العلم الطبيعي، وكذلك ما نزعه من كون الرّب جل وعلا حاكماً في الغيب على كل صغيرة وكبيرة في هذا الكون! فلا يلزمني ما يدعيه غيري من أهل الملل الأخرى، ولا يضيرني - كذلك - ألا توصف حججياً بأنها

وأما قولك «إثبات أنّها لا يمكن أن تقع على نحو ما قال داروين» فهذا أيضاً ليس مناط النظر فيه قائماً على طلب المشاهدات الحسية، والتجارب الإمبريقية، وإنما دائرة الاستدلال فيه نظرية عقلية محضة، مجالها في الحقيقة فلسفي، وليس من العلم «الطبيعي»! وعند التّمحيص الفلسفي يقال: إنّ الأحداث الأولى التي نشأت فيها الحياة يلزم عقلاً ألا تكون قابلة للقياس على ما يجري الآن، من تطورات وتغيرات داخل سياقها وإطارها القائم، فلا يمكن لأيّ مشاهدة ممّا تشاهدون الآن، أن تكون دليلاً على أيّ دعوى تدّعونها، بشأن النشأة الأولى لسائر أشكال الحياة على الأرض!! إنّ غاية ما تقولونه وتدندنون حوله في نظرية داروين، أنّها أوّل تفسير مادّي يرقى - بزعمكم - لأن يكون بديلاً يغني عن القول بوجود الخالق، أو «السبب الأوّل»!! فهل هذه دعوى يمكن لنا أن نبطلها يوماً ما، من خلال اكتشاف حسيّ طبيعي، تسري عليه شروط العلم الطبيعي؟؟؟

المُوحّد: نعم..

المُوحّد: كيف؟

المُوحّد: أن نكتشف أثراً حسيّاً مباشراً لذلك العامل الخارق للطبيعة، الذي يتدخل في أحداثها، ويوجّهها ذلك التوجيه «الذكي» الذي تقولون به!!

المُوحّد: نحن نقول: إنّ هذا النّظام المحكم الدّقيق الذي تمشي عليه عناصر هذا الكون من حولنا، بما فيه ذوات أجسادنا، لا يطلب العقلاء دليلاً أظهر منه على وجود الخالق الحكيم، الذي خلق كلّ شيء وقدره تقديرًا.. ولا تحتاج عقولنا إلى رؤية هذا الخالق نفسه رأي العين حتى نؤمن بضرورة وجوده! بل أريدك، إننا قد علمنا من كتابه الذي أنزله على رسوله، ومن دلالة العقل بما يوافقه، أنّه لو أظهر الرّب نفسه للناس - وأعطاهم القدرة لرؤيته - في هذه الحياة الدنيا، لآمن الناس كلّهم أجمعون،

حجج «علمية» على اعتبار أنّ المراد باصطلاح العلم في هذا السياق (العلم الطبيعي)!! وأما قولك «كافيا» فمن الذي قال إنّ حدث الخلق الأول يمكننا - عقلا - أن نفيسه على شيء مما يجري الآن في العالم، حتى نروم «تفسيره» تفسيراً «كافيا»؟؟؟ هذا افتراض باطل فلسفياً من الأساس!!

فالحاصل، أنّه لا يمكن أن تأتوا بدليل قاطع للنزاع في شأن هذا الحدث، إلا أن ترحلوا إلى الماضي السحيق، لتقفوا على مشاهدته عياناً (وهيهات). وإلاّ، فإنّ كل ما بين أيديكم، ممّا تجعلونه دليلاً لرواية التاريخ الطبيعي عندكم، عند مخالفيكم تأويل له يتفق ويعضد زعمهم بأنّ الرّب هو خالق كل شيء، وأنّ قصة أصل الأنواع، كما يتخيّلها داروين، هذه لم تقع! فإذا ما أردنا التّرجيح بين التفسيرين، ألجأنا ذلك إلى طرائق الفلسفة، والاستدلال العقلي، والموازنة بين التّأويلات المطروحة للمشاهدة، وليس إلى أدوات العلم الطبيعي، والمشاهدات الحسية الصريحة، والتجارب التي يمكن أن تقدم لنا محاكاة مقبولة عقلاً..

كيف يقال مع كل هذا، إنّ تلك النظرية على شرط وحدّ العلم الطبيعي؟؟؟

تقولون إنّ نظرية داروين لا تعطي دليلاً قطعياً، وإنما دليلاً ظنياً، تزداد قوته ورجحانه، بتراكم الأدلة من جنسه ومرتبته، وهذا طريق معتبر في الاستدلال العلمي الطبيعي، كما في أبواب Forensic Sciences! وأقول إن مبدأ قبول تراكم الأدلة الظنية وتقوية بعضها البعض - من حيث الأصل الفلسفي - مبدأ صحيح عقلاً لا مطعن فيه، وهو معمول به في سائر العلوم. ولكن، عندما تكون تلك الأدلة كلّها مبنية على نظرية فاسدة من حيث الأصل العقلي، إذ يراد بها منازعة ضرورة من ضروريات العقل وإبطالها، فإنّه مهما تراكت تلك الأدلة الظنية،

فإنّها لا يكون لها قيمة!! تماماً كمحقق الشرطة الذي يصر على جمع مزيد من «الأدلة» على أن القاتل هو فلان، الذي بنى نظريته حوله، مع أن القاتل قد اعترف بالفعل، وقدم نفسه للعدالة!!! لهذا ترانا نقول بكل ثقة: «إنّ هذه الأدلة المزعومة ليست إلا نظريات، وافتراضات مهما كثرت، وتراكت»!! فالفرضية الأصلية التي يراد الاستدلال عليها، بتفسيرات الداروينيين لما بين أيديهم من المشاهدات المتراكمة، فاسدة من حيث الأصل الفلسفي، وفسادها نبينه لهم بحججه الدامغة، من قبل أن يدخلوا بها معاملهم يجعلونها من نظريات العلم الطبيعي التي يتصور إمكان إثباتها بأدلة العلم الطبيعي!!

إنكم معاشر الداروينيين! تخرجون نظرية بيهي Irreducible Complexity - على سبيل المثال - من دائرة العلم الطبيعي لأنها تفترض تفسيراً لا يمكن نفيه من خلال وسائل العلم الطبيعي، فهلا دللتونا على الطريقة العلمية الطبيعية التي يمكننا بها أن نبطل نظرية داروين إن أردنا ذلك؟؟؟

ثم إنكم تدّعون أن نظريات «الخليين» تخرجها شفرة أوكام Occam Razor من دائرة التفسيرات النظرية المقبولة عند المقارنة بنظرية داروين، مع أن هذه الشفرة لم تخرج أصلاً إلا في الكنيسة، لإثبات أن كل محاولة لتفسير الغيبيات بشيء إضافي إلى سلطان الخالق الواحد، فإنّه أمر مرفوض عقلاً! أما أنتم فتريدون الانتصار بهذه القاعدة لنظرية داروين! تقولون إنّ نظرية داروين أوفق كتفسير؛ لأنّها لا تتطلب الكثير من الفرضيات، التي تحتاج كل منها في ذاتها إلى تفسير مقبول عقلاً، في مسلسل من التفسيرات بخلاف عقيدة الخلق. وأقول إنّ هذا من انقلاب المنطق، وعمى البصيرة بمكان! فالذي يتأمل في نظرية داروين، يجد أنّ كلّ ما يجعله العلماء

كثير! نعم، هو مجهول بالنسبة لأدوات العلم الطبيعي، ولا سبيل لمعرفة شيء عنه من ذلك الطريق، ولكننا لم نجعله من جملة العلوم الطبيعية، ولا عددناه نظرية في علم الأحياء، معرضة لأن يأتي ما يفضلها فيقدم عليها في يوم من الأيام! إن الخالق ضرورة عقلية، ينتهي بها التسلسل نهاية حتمية، لا مفر منها، وهو - بضرورة العقل كذلك - فوق سائر تصورات العقل، ولا تخضع ذاته وكيفيته للقياس العقلي! وأما صفاته فلا نعرفها في المعمل، وإنما نتعلمها من الوحي المنزل! فإذا ما وقفنا في المعامل لم نر - أبداً - إلا ما يصدقها أتم تصديق!

هذا هو محل نزاعنا معكم يا أتباع القرد داروين! إنه محل فلسفي عقلي محض، لا مدخل فيه للعلم الطبيعي أصلاً! فإن كانت نظريات «الخلق» مرفوضة، بسبب أنها ليست من العلم الطبيعي، فنظرية داروين أخرى بأن ترفض لذات العلة، فالإشكالية الفلسفية واحدة، وهي محل النزاع بين الفريقين!! ولا قيمة لدعوى الإجماع عليها، فإن هذه، ليست المرة الأولى التي تتفق فيها أروقتكم الأكاديمية على فلسفة من الفلسفات الباطلة، أو يتفق فيها علماء الطبيعيات على نظرية علمية في عصر من الأعصار، ثم لا تلبث أن يثبت بطلانها، وتضطرون لقبول نظرية أخرى في مكانها، فيزول الإجماع، وكأنه لم يكن! ثم إن خلافاً فيما نختلف فيه، خلاف فلاسفة وعلماء ملل، لا خلاف علماء أحياء، أو علماء جيولوجيا، أو غير ذلك، من الممارسين في تلك المجالات!! ومعلوم أن فلاسفة العلوم منهم الملاحدة نفاة الخالق، ومنهم المسلمون، وأهل الكتاب.. فلا إجماع أصلاً بين أهل الاختصاص في دراسة تلك القضايا!!!

عند هذا، سكت الملحد ولم يدر بم يجيب!!!

الطبيعيون دليلاً على صحتها، فإنه قابل لتأويلات عدة، كل تأويل منها يحتاج إلى تفسير للكيفية التي وقع بها الحدث على ذلك النحو المزعوم، دونما تقدير مسبق ودون ضابط خارجي حاكم، يمنع من هلاك الكائنات، وانهيار منظومتها المتزنة، انهياراً كلياً في أي حلقة من حلقات تلك السلسلة الطويلة، فاحشة الطول، من أحداث يفترض - على خلاف مقتضى العقل الصحيح - أنها لم يحكمها حاكم كوني، ولم يضبطها في أصلها، ولا في تتابعها أي توجيه مسبق لغاية محددة! ثم إنكم تغفلون مشكلة الأصل الأول وراء هذه القصة - وهو ما لا جواب له عقلاً إلا الخلق - وتغرقون في تسلسل لا ينتهي، ولا تعلمون طريقاً لإنهائه أو الخروج منه!! وإلا فمن أين أتى ضابط الانتخاب، ومن الذي قرّر قاعدته في نظام الأشياء في الابتداء، ومن أين جاءت الحياة التي دبّت في الخلية الميتة فجعلتها كائنات حية؟؟ وهل ترون في مشاهدات العالم ما يمكن بالقياس عليه، محاكاة هذا الحدث في المعامل، والطمع في الوصول إلى دليل «طبيعي» على وقوعه كما تعزمون؟؟ كل هذه الإشكالات الفلسفية الكبرى، وتقولون إن شفرة أوكام ترفع نظرية داروين فوق القول بالخلق؟؟ ما أسهل الدعوى!!

بالله، أين هذا العبث الفلسفي المحض، باسم العلم الطبيعي، من قول واحد رشيق مفاده: أن الله جل وعلا قد خلق كل هذا الخلق، وقدره بمقدار دقيق - كما هو واضح جداً، لا تخطئه أبصار الناس! - لا مزيد عليه، ولا حاجة للزيادة عليه أصلاً؟؟ نعم، ليس هذا القول من العلم الطبيعي! ولكن، من الذي قال: إن جواب هذا السؤال يجب ألا يأتي إلا من العلم الطبيعي؟؟

إن قول القائل منكم بأن وجود الخالق يضع أمامنا مجهولاً هو - ولا بد - أشد تعقيداً من المسألة المطلوب تفسيرها، هذا لا يؤثر على صحة ذلك القول في قليل ولا



هدية مندى النوحيد

حصرها على شبكة الإنترنت

كتاب هروبي إلى الحرية لعلي عزت بيجوفيتش

«كانت تلك أيام ينتظرني فيها ما يقارب ثلاثة عشر عاما من السجن، وعندما كان الموت هو الأمل الوحيد، أخفيت هذا الأمل بداخلي مثل سرّ كبير لا يعرفه أحد غيري، ولا يستطيعون هم تجريدي منه. إذا كان الأدب هو هروبي الثقافي من ذلك السجن إلى الحرية، فإن هروبي العاطفي كان في تلك الرسائل. لست متأكدا بأن أولادي يعرفون أو أنهم سيعرفون يوما، ماذا عنت تلك الرسائل بالنسبة لي؟ كنت أشعر في اللحظات التي أقرأها فيها أنني لست إنسانا حرا وحسب، وإنما إنسان أهداه الله كل خيراته هذه الدنيا!». «علي عزت بيجوفيتش»

«علي عزت بيجوفيتش» هو الرئيس السابق لجمهورية البوسنة، من مواليد بوسانسكي في يوغوسلافيا السابقة سنة ١٩٢٥م، أكمل دراساته العليا في القانون سنة ١٩٦٢م، انتسب لمنظمة الشباب المسلمين عام ١٩٤٠م، فسجن ٣ سنوات، كان أول المتهمين في محاكمة سراييفو الشهيرة، فحكمت عليه بالسجن ١٤ عاما، كانت له مواقف المعروفة في محنة البوسنة بعد انهيار الشيوعية، أصدر أعمالا تُعد وبحق من أكثر الأعمال نقدا للإلحاد واللا دينية، ومن أشهرها، بل أشهرها على الإطلاق كتاب: «الإسلام بين الشرق والغرب».

والكتاب الذي بين أيدينا اليوم، هو كتاب: «هروبي إلى الحرية» كتبه الأستاذ «علي عزت بيجوفيتش» -رحمه الله- في أثناء سجنه منذ عام ١٩٨٣م إلى عام ١٩٨٨م، والكتاب يتكون من جزأين؛ الجزء الأول آلاف الاقتباسات المفيدة النافعة (حوالي ٣ آلاف اقتباس)، إلى جانب آراء الأستاذ علي عزت بيجوفيتش -رحمه الله- في الحياة، والابتلاء، والخير، والشر... وأغلب الاقتباسات من روايات «الإخوة كارمازوف» لدستوفسكي، و«فلسفة التاريخ» لهيجل، و«الحرب والسلام» لتولستوي، وكتب كانط، وجرائد ومجلات كانت تقع تحت يده في السجن، يقتبس منها أخبارا مفيدة نافعة... والجزء الثاني من الكتاب عبارة عن مراسلات وخطابات أبنائه له، في أثناء فترة سجنه!!

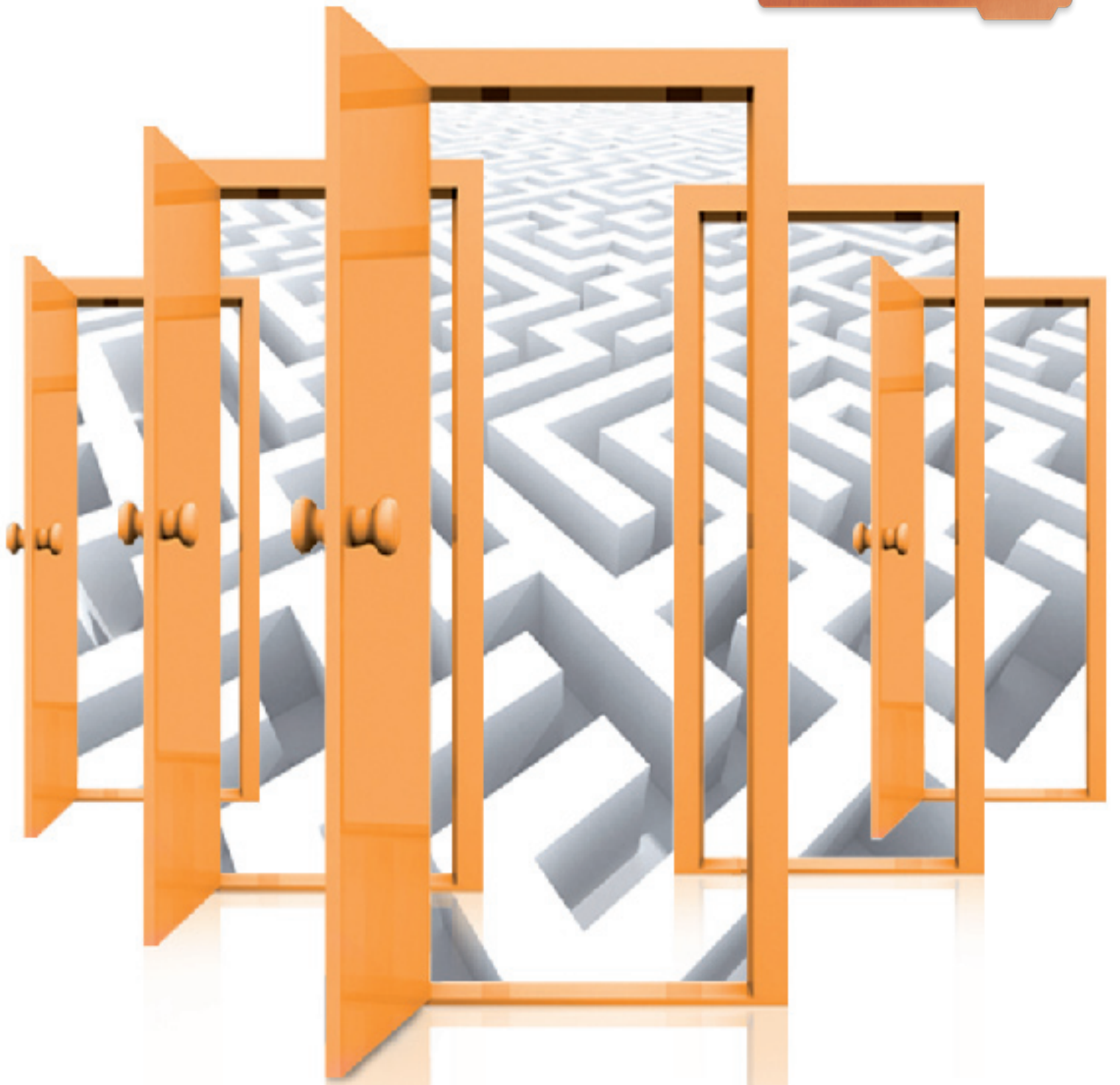
ترجمة الكتاب: المترجم هو «إسماعيل أبو البندورة»... والترجمة سيئة؛ فالمترجم يكسل حتى عن ترجمة الآيات التي يقولها علي عزت بيجوفيتش بالبوشناقية، ويوردها المترجم بالمعنى، وبجوارها اسم السورة. أيضا، التقديم والتأخير في الجمل، والاقتباسات غير منضبطة مما قتل روح النص. أيضا، كثيرا ما يضع المترجم نقاطا مكان الكلمات التي تستعصي عليه، فنجد العبارة مبتورة غير مستقيمة.

الفكرة الرئيسية للكتاب: الخير والشر في الوجود

بعض الإقتباسات من الكتاب:

- «عندما كنت في السجن، وفي لحظات الاكتئاب التي تحيق بالإنسان، في مثل هذه الأوضاع، كنت أشعر بأن حالتي تسوء عندما أتغذى جيدا! الجوع كان يساعدني دائما، وبشكل أفضل من أية هدية جيدة تأتيني من البيت، لأن الفراغ في الروح، وامتلاء المعدة هي من أسوأ الاختلالات. لماذا الأمر هكذا؟! التفكير بهذا، يمكن أن يؤدي إلى أن تعرف حقيقة ما هو إنساني أكثر من أعمق المحاورات الفلسفية حول هذا الموضوع».
- «الحياة هي لعبة لا يربح فيها أحد، إلا أولئك الذين يؤمنون ويعملون صالحا».
- «لماذا يجب أن تكون عادلا؟ تبين بأن أي حديث، أو أي تفسير هو ضرب من العبث».
- «كتب نيتشه بأنه يحتقر الضعفاء، والأخلاقيين، والعبيد، بالنسبة له هؤلاء من صنف واحد».
- «التفكير في حقيقة المأساوي، هو ميتافيزيقيا خالصة؛ لأنه بدون الله لا توجد المأساة، يوجد فقط الحادث والمصيبة».
- «إذا كانت الأخلاق غير مفيدة؛ فهذا هو المعنى الذي تحمله الأخلاق».
- «الأخلاقية إذا كانت حقة، فإنها ترتبط دائما بالتضحية، والمعاناة، وإلا فهي تمثيل ونفاق».
- «الحياة ليست ميكانيكا، أو حتى أكثر أنواع الميكانيكا تعقيدا، إنها تراجيديا - كوميديا خرافة - أسطورة، إنها كذلك لأن الله موجود... بدون الله فإن الحياة تعود إلى ميكانيكا، وتصبح لا حياة».
- «عشقنا للبطل الساقط من الناحية العقلية، هو بلا معنى تماما».
- «تدخل الشعوب التاريخ أغنياء في الأخلاق وفقراء ماديا، وعندما يخرجون من التاريخ، فإن الوضع عادة يكون معكوسا... تعيش الحضارات على حساب الاحتياطي الأخلاقي».
- «يقول مالكوم إكس: تأكدت من أن القوة الأخلاقية، أو الضعف الأخلاقي لكل دولة، يمكن قياسه بلباس وسلوك المرأة، وخصوصا منهن الشابات في الأماكن العامة».

لتحميل الكتاب اضغط هنا



لا أعلم هويش

الجزء السادس

بقلم د. حسام الدين حامد

نتابع حلقات هذا الحوار الحقيقي الذي دار في منتدى التوحيد بين (د. حسام الدين حامد) وبين الأخ «المسلم»
حاليا، اللاديني سابقا (أبو الحكم).

إلا بنظام ..

فالفلكيون سيبحثون من ورائك هذا النظام ..
وسيجرون الحسابات من خلال هذا النظام ..
فإياك أن يظهر الأمر، و كأنه خبط عشواء، أو

ضربة لازب !!

فقد حققت الصدفة نظامًا دقيقًا، أنشأ علماء، يأكل
من وراء العمل فيه رجال، سموا أنفسهم الفلكيين
..

فذلك نظام حققته الصدفة؛ ألا تستطيع تحقيقه ؟!
قال المنطق الإلحادي: بلى !!

أريدك أن تقوم على أمر البحار، و المحيطات،
فلا يطغى الماء على الأرض، فيغرق من عليها ..
أريدك أن تقوم على أمر الأسماك، صغيرها،
وكبيرها، داخل البحار، والمحيطات، والأنهار،
والقنوات، والترع، والبحيرات ..

أريدك أن تجعل كل سمكة، لها غذاءها، فلا تموت
جوعًا، لنقص التغذية ..

أريدك أن تجعل بعض الأسماك طعامًا لبعض،
بحيث لا تفيض البحار على الأرض بالأسماك ..
أريدك أن تجعل بعض الأسماك قادرة على الدفاع
عن نفسها، كل على حسب طريقته، حتى لا تنتهي
من فور وجودها ..

أريدك أن تحقق التوازن بين تلك المملكة من

قال حسام:

خامسًا : و صفقة أخرى ...

لو أنت القيم على الكون !!؟

صفقة سهلة، يسيرة، في المنطق الإلحادي ..
صفقة أقاموا على شأنها صدفه مهتبله .. أو طبيعة
مختلقة ..

صفقة يسيرة، أرى أن أحولها من تلك الصدفه
إليك ..

أريدك أن تحمل الأمر بدلًا من الصدفه ..
ألست أعلم من صدفه، عابرة، حائرة، تائهة، لا
تتكرر !!؟
ألست كذلك ؟!
قالوا : بلى ..

الآن، لنبدأ ..

أريدك أن تقوم على المجرات، والكواكب،
والمذنبات، والشهب ..
فلا ينجذب شيء إلا بنظام .. و لا يطرد شيء إلا
بنظام ..

و لا يتحرك شيء إلا بنظام .. و لا ينفجر شيء

الأسماك ..

و أريدك ان تجعل بعض هذه الأسماك، عددها
بألوف الألوف من الأنواع ..

و أن تجعل كل نوع له شكله المميز ..

و أن تجعل لكل نوع وسيلة تكاثر، ينتج بها مثل
نوعه ..

إياك أن تغلط مرة، فيتزاج اثنان من نفس النوع،
فينتج نوعٌ آخر!! فتلك في حقك ستكون فضيحة!!
وعن النباتات في البحار، فكيف لها وضعها ..
ووفر لها حاجاتها ..

و عن الصيد في البحار، فاضبط الأمر بحيث لا
يطغى حق البحر على رزق الصياد، و لا يطغى
حق الصياد على مملكة الأسماك...

و أريدك أن تجعل في الماء التوتر السطحي
الكافي لحمل السفن، ثم أريدك أن ترزق البشر
العقول، و تلهمهم الأفكار التي بها يبنون السفن!!

فذلك توازن حققته الصدفة، ألا تستطيع
تحقيقه؟!

قال المنطق الإلحادي : بلى ..

ثم أريدك أن تقوم على شأن هذه الكواكب ..
وخصوصًا المأهولة بالسكان ..

فاجعل لكوكبهم قمرًا يمشي بنظام .. و اجعل
لقمرهم طورًا بعد طور ..

و اجعل لكوكبهم شمسًا، لا يذهب حرها بجلودهم،
و لا يأتي بعدها ببردٍ يوقف نشاط يومهم ..

و اجعل للقمر شأنًا عجيبًا مع المد، والجزر ..
وجعل لشمسهم شأنًا عجيبًا مع الظل..

و إياك أن يختل النظام..

فقد حققت الصدفة نظامًا يدرس نتائجه الطلبة في
المدارس، فهذا قمر في أطواره محاق، و تربيع،
و بدر..

و تلك شمس بعدها عن الأرض كيت وكيت..
وقمر بعده عن الأرض كيت وكيت..

إياك أن يختل هذا النظام ..

فذلك نظام حققته الصدفة، ألا تستطيع تحقيقه؟!
قال المنطق الإلحادي: بلى!!

ثم أريدك أن تيسر لسكان الأرض هذا الكوكب،
و تذلل صعابه لهم..

الأكسجين في الهواء يكفيهم، ولا يطغى..
والهيدروجين يكفيهم، ولا يبغي .. ولا ينقصهم
نيتروجين، ولا غيره..

و المياه موجودة لكل من أصابه العطش، فأراد
بلال صداه..

والغذاء موجود لكل من يفغر فاه..

والجاذبية تجذبهم، فلا يطيطرون في الهواء..
والطف بهم بطبقة من الأوزون، تحميهم مما
يضر من أشعة الشمس ..

إياك أن يختل هذا النظام ..

فذلك نظام حققته الصدفة، ألا تستطيع تحقيقه؟!
قال المنطق الإلحادي: بلى!!

ثم أريدك أن تقوم على شأن السباع في الغابات..
الهوام، والديدان، والحشرات..

و القطط، والكلاب، والفئران، والحيات ..
والبعوض، والأسود، والنمور، والفهود..

وذاك يدعو في الليل، وذاك يدعو في النهار،
وذاك يسأل بغلس، وذاك يسأل عند الشفق ..
إياك أن تختلط عليك الأصوات ..
إياك أن تخل بسنن الأكوان ..
إياك فتضيع الأرض ..
إياك فينتشر الفساد ..
إياك فهذا نظام دقيق ..

فذلك نظام حقيقته الصدفة، ألا تستطيع تحقيقه ؟!
قال المنطق الإلحادي: بلى !!

و انتبه لكل شيء ..
انتبه لكل شيء، حتى الزائدة الدودية في جسد
الإنسان ..

نعم .. للزائدة الدودية ..
اجعلها في بعض البشر أمام الأعور، وفي بعضهم
خلفه، و في بعضهم تحته، و في بعضهم جنبه، و
في بعضهم ملتفة، و في بعضهم غير ملتفة ..
فإن طغى أحدهم في الطعام، و أساء القوامة على
نفسه، فعجل بالتهاب تلك الزائدة ..
و لكل نوع كيفية في التعبير عن هذا الالتهاب ..
و لكل نوع ألمه .. فتلك ألمها عند السرة، و تلك
ألمها عند الجنب، و تلك ألمها يملأ البطن، و تلك
ألمها في الظهر ..

ثم اجعل هذه الأعراض المرضية مفيدة ..
فتصير بطنه صلبة كالحطب فتخفف الألم عليه ..
وإياك أن تزيل الألم !!
وإلا فكيف سيعلم أن زائدته قد التهبت ؟!!
ووفر له الطبيب المعالج ...

وفر لكل غذاءه ..
ثم انتبه فهناك توازن في البيئة ..
إياك أن تخل بهذا التوازن ..
فذلك توازن حقيقته الصدفة، ألا تستطيع
تحقيقه ؟!
قال المنطق الإلحادي: بلى !!
ثم أريدك أن تقوم على شأن سكان هذه
الأرض ..
تلك تضع حملها، وتلك ترضع ولدها، وذاك يعمل
ليله، و ذاك يكد نهاره ..
ذاك يذاكر دروسه فينجح، و ذاك يلعب طول
العام فيرسب ..
ذاك يعمل بكد فيعلو، و ذاك كثر أعداؤه فيخبو ..
ذاك ذكيٌّ ماهرٌ فينبل ذكره، و ذاك خاملٌ فاشلٌ
فتمحو أثره ..
تلك طيبة الخلق فيوضع لها القبول في الأرض ..
و ذاك سيء الخلق فينفر منه الخلق ..
ذاك يعمل فيصير من النبلاء، وذاك لا يعمل
فيظل من البطالين ..
ذاك أراد النوم فيأتيه النوم، و أراد الاستيقاظ
فيأتيه الاستيقاظ ..
ذاك يرفع يده للسماء يطلب طلبًا فيأتيه طلبه ..
وذاك في الهند سيدعو، وذاك في الصين يدعو، و
في مصر، و في ليبيا، و في سوريا، و في القدس،
وفي رفح، وفي غزة، وفي نابلس، وفي مكة، وفي
نيويورك، و ي شارع الجلاء وفي شارع القصر
العيني، وفي ذاك البيت الصغير، وفي هذا الكوخ
الحقير ..

ووفر للطبيب الدواء .. فقد علمنا أن لكل داء
دواء إلا الموت، و الهرم..
ووفر للطبيب العقل الذي به يعرف الدواء..
هناك الكثير، الكثير، الكثير، الكثير، الكثير،
الكثير مما يلزمك الانتباه إليه،
والقيام على شأنه ..
إياك أن تطغى ..
إياك أن تسهو ..
إياك أن تنسى ..
إياك أن تغفل ..
سيضيع الناس ..
حاذر! ستسري الفوضى في أرجاء البسيطة ..
وتلك مصيبة غير بسيطة ..
ستكون فضيحتك، فضيحة شديدة ..
ذلك أنك عجزت عن تلك الصفة البسيطة ..
عجزت أن تسوي ما نسبه المنطق الإلحادي إلى
صدفة عابرة !!
لذا ..
فلن أستغرب أبداً ..
لن أستغرب أن تقول: «لن أقبل هذه الصفة»..
لن أستغرب أن تستقيل من تلك المهمة..
لكني سأسألك: فما يعوزك حتى تقوم بتلك
الصفة؟
و لن أستغرب أن تقول: «أحتاج إلى علم واسع،
وكرم لا ينفد، وإرادة نافذة، وقدرة تامة، وحكمة
بالغة، وتملك لا ينقضه عليّ أحد، وهيمنة لا يقف
أمامها أحد، وجبروت مع رحمة، وود مع انتقام،
وقوة مع حكم...»
و لن أستغرب كذلك...

لكني يا صاحبي! يصير وزني عجباً، و تغدو
كتلتي استغراباً، و تملؤني الدهشة القاتلة، حين
تشترب هذه الصفات لتقوم على الكون بهذا الشكل
الذي هو عليه الآن ..

تشترب هذه الشروط - و هي شروط لازمة - لا
غرو أن اشتربتها ..

تشترب هذه الشروط كلها للقيام بشأن الكون .. ثم
توافق أن يكون القيام على الكون مرده إلى صدفة،
أو مرده إلى لا شيء !!!!!
ألا يملؤك العجب مثلي !!؟

أي والله، إنه لعجب محزن...
لذا يعز على نفسي، أن أرى هذا حالك...
عزيز على نفسي، أن يكون سبب دخولك النار،
هو تمسكك بهذا الخبل المخزي...
عزيز على نفسي، أن أراك تركن إلى هذا
الهراء، و أنت الرجل الرشيد..
عزيز على نفسي، أن تقحم إلى النار تقحماً لا
عقل فيه...

عزيز على نفسي، أن ترضى بالمنطق الإلحادي،
و هو منطق عاجز العجز كله..
عزيز على نفسي، أن أراك تبحث عن
مصرعك..

يا صاحبي! دع عنك هذا المنطق الإلحادي،
وقل: «آمنت بالله و برسوله» ..

يا صاحبي! اقرأ معي كيف تسير الأكوان ..

قال الله الحليم عليك ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ * فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ * وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

قال الله الغفور الرحيم ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِلَهُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ * أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ * أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَيْسَ اللَّهُ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ قُلُّ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

قال الله الرحمن الرحيم ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾

قال ربي، و أحق القول قول ربي ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾

قال الله ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾

قال الله الرحمن الرحيم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾

قال الله ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾

قال الله ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ * وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

قال الله ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾

قال الله ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾

اقرأ في كلام الله بقلب خاشع، و ستعرف أن الأمر أكبر من صدفه تافهة، لا يقول بها إلا مسلوب العقل، أو مخدوع عن عقله .. و أن الطبيعة الصماء المنفعلة، غير عاقلة فلا يكون منها ما عجز عن تخيل القيام به ذوو العقل الرشيد، من أمثالك .. وأن العدم أحقر بكثير من القيام على شأن الوجود!!

اقرأ ..

و سل نفسك ..

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾

ما غرك !!؟

بالطويلة، وأعدك أن أعود بما يسر لك البال..
سأذهب لمكان تتمنى أنت وغالبية مسلمي الأرض
أن يصلي فيه.. سأزور القدس العتيقة.. سأذهب
هذه المرة، ليس لزيارة سياحية كما كنت أفعل
سابقاً.. هذه المرة، سأذهب لأفكر بما قلت لي
هناك.. عليّ أجد إجابات لأسئلة لم تطرحها نفسي
عليّ من قبل..

أتركك بخير يا أخي.. وسألتقي بك مجدداً..
وأعلمك، أنني أُنشوق للقياك، والجلوس معك..
إنك إنسان رائع.. وأغبطك على هدوءك النفسي..
لك تحيتي.

قال حسام:

أبا الحكم !!

و أنا يا صاحبي، أشتاق للقياك..

أخشى إن لم تكن اللقيا في الدنيا، أن نفقدها في
الآخرة..

لماذا تصر على حرمانني من لقياك في الجنة
بفضل الله؟!!

أما زال مقعدك شاغراً بين المسلمين؟!!

أما زلت هنالك في صفوف الملحدين؟!!

لأن تكون ذنباً في الحق، خير لك من أن تكون

أما أن لك أن يخشع قلبك لربك؟!! أما كفاك كبيراً
على ملك السماوات، و الأرض؟!!
أما أن لك أن تقول: لا إله إلا الله ..
أما أن لك، و قد عرفت ..
ألا تنادي: «اللهم قد أن، اللهم قد أن»؟!!

هذا أوان العودة .. فاغتنمه .. فلا أدري، أموت
قبلك أم تموت قبلي ..

أبا الحكم ..

أزيدك أم تجيبني؟!!

نعمة عيني، أن أزيدك بالكلام عن ربي..
و نعمة عيني، أن تجيبني بأنك أسلمت لله ربك..

فما تفعل يا صاحبي؟!!

قال أبو الحكم:

آه يا حسام.. ما اصعب كلامك.. واني أقول لك
قول صدق: إنك انزلت الرهبة في قلبي.. والدمعة
من عيني.. ماذا تفعل معي.. وبأي علم تتكلم.. أقسم
لك لم أستطع اكمال درسك الأخير.. وأقسم أنني
ارتحت عنها ساعتين، ثم عدت له بشوق أكبر..
لا تعجل عليّ يا أخي.. فإنك ستلقى مني ما يسرك..
إني أفكر، وأفكر، وأفكر...

بالمناسبة يا أخي .. أردت سعيداً، أن أخبرك أنني
صمت اليوم.. ولا أنكر أنني تعبت، ولكن أحسست
أنني أنجزت شيئاً معنوياً لا أعلم ما هو..
أخي العزيز حسام.. سأغيب عنك فترة ليست

رأساً في الباطل..

أما زال مقعدك شاغراً بين المسلمين، وهم

ينتظرونك حرصاً عليك؟!!

لماذا تكره نفسك إلى هذا الحد يا أبا الحكم؟!!

لماذا تصر على أن توردها المهالك؟!!

قال ربي ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾

يا الله !!

﴿لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾

أما زلت تتكبر على خالقك أن تذلل له، فتعز عن كل ند، و شريك يريدك دون منة عليك فيريدك؟!!

لقد احترت لك ..

أردت أن أجد لك وسيلة تدخل بها الجنة، و أنت على كبرك ..

الجنة التي يقول فيها الأتقياء:

« يا حبذا الجنة و اقترابها

طيبة و بارد شرابها»

أريدها لك، و تريد أنت خلافها!!

ووجدت وسيلة تدخل بها الجنة، وأنت على كبرك

..

هي صفقة - كسائر الصفقات - إن قمت بها قد

يكون لك أمل ..

أحضر إبرة خياطة..

أحضر جملاً ..

أدخل الجمل في ثقب الإبرة ..

أسهلة هي !!

قال ربي ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾

فإن كانت تلك الصفقة خاسرة - كسائر صفقاتي

معك - فلا أعلم لك إلا الإسلام يا صاحبي !

يتبع ..

من أقوال السلف

:óĤē ĆĤ3 ! ā Ĥřó ā ĤĤĤā ĥē ĤĤ3 ĥ3
 ĥŋ ĤĤ3 řŮ ĤŮŮā ŌĤĤĤĤ ŌĤĤ řŝ ŮĤŤŮŮā ōĤē řŮ3 ĤĤĤĤā řŮ¼
 -ĤĤŌĤĤē ĤĤ3 ĥŋ ĤĤ3 řŮ ŌŮŤĤĤĤ 3ĤĤ řŝ ŮĤĤŮĤĤ
 (Ččđ) ĤĤĤĤā ŮŮ ĥē ř ĤĤĤĤā

:ĤĤĤĤ ! ā Ĥřó ĤĤŮĤā ĥĤΣā ōĤē
 ĤŮřŮ ĤĤĤĤā āŝĤŮĤ. ŽĤĤāŝ ĤĤŮā Ĥē 1 ŤĤ řŮ ĤŮŮ ř ĤŮŮā 1 ĤĤĤā¼
 :ĤŮā ĤĤĤ ā ĤĤā ŌēŮ ĤĤ ŮĤĤĤā ĤĤĤ ā ĤĤā ŌēŮ āŝĤĤĤ ĤĤĤā ŌēŮ ĤĤ Ů ! ā
 ŮĤĤĤā Ž ĤĤĤā ŌēŮ 3ŋ řŝ ŮĤĤāĤŮ Ž 8 āĤĤā ŌēŮ 3ŋ āŝĤĤĤ Ĥ ĥĤĤā
 -āŝĤŮŮ ! ā ōĤĤ ĤŮ ŌŮŮŮŮ ĤŮ āŝĤĤ ĤĤ ĤĤĤā řŮ3 āŝĤŮŮ
 .(ĤĤ/Č) ĤĤĤĤā ĤĤĤĤ

:ĤĤĤĤ ĥēā ŮŮĤā ĤĤĤā ōĤē
 ĤŮĤĤā ĤĤŮ ŮĤĤĤāŝ ōĤĤĤā ĤĤā ŝĤē ĤĤĤā ĤĤĤĤā ĤŮ ĤĤĤĤāŝ¼
 ĥēā ĤĤŮ ŮĤĤā ! ā ōĤĤ ĤĤā ĥŋ ĤĤŮŝ ĤĤĤĤā ĥŋ ĤĤĤāŝ ĤĤĤ ĥ3
 -ŮŝĤĤā ĥĤā ĥŋ ōĤĤŮŮ řĤā ĤŮ ĤĤ ŝĤĤ
 .(ČĤēŮŮ ŮĤĤĤā)

تهافت تهافت تهافت

بقلم د. elserdap

إلى أبعد حد.
ولا توجد مسألة واحدة اتفقت آراء الفلاسفة على حل موحد لها، فلا توجد خاتمة لجميع كتب الفلسفة.. ويمكننا القول دون مبالغة: إن المذاهب تتعدد بمقدار ما يكون في العالم من فلاسفة عقليين!

ولقد اختلف «أنكسيمندر» عن «طاليس» واختلف «هرقليط» عنهما... و«كانط» سَخَفَ من سبقه من فلاسفة، و«نيشه» سَخَفَ منهج «ديكارت»، وهكذا.. ولكن الإنسان هو الإنسان، يظن كل فرد من أفراد أنه سيأتي بما لم تستطعه الأوائل، فكبرياء الإنسان لا حد له ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (الكهف: ٥٤).

يقول الإمام الشافعي: «ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب، وميلهم إلى لسان أرسطو» اهـ.

يقول الدكتور عبد الحليم محمود في كتابه «الإسلام والعقل» ص ١٣٢: «إن الفلسفة اليونانية في عالم العقيدة فلسفة وثنية؛ إنها وثنية حتى حين تثبت وجود الله، ولا يخرجها إثباتها وجود الله عن أن تكون وثنية؛ إنها وثنية بالمبدأ الذي قامت عليه وهو مبدأ تأليه العقل البشري، ويستوي بعد ذلك أن تكون أثبتت وجوده، أو

يقول الإمام الغزالي-رحمه الله-في خاتمة كتابه تهافت الفلاسفة: «فإن قال قائل: قد فصلتم مذاهب هؤلاء -يقصد الفلاسفة- أفتقطعون القول بتكفيرهم ووجوب القتل لمن يعتقد اعتقادهم.. قلنا تكفيرهم لا بد منه» اهـ. وسكت الغزالي عن وجوب قتلهم.

قام أبو الوليد ابن رشد بالرد الثقيل على الإمام الغزالي في كتابه الشهير تهافت التهافت.. ودون أن يدري أكد ابن رشد ما ذهب إليه الغزالي.. يقول الدكتور عبد الحليم محمود في كتابه الإسلام والعقل: «وكان أبرع رد على ابن رشد، أن عمله هذا إنما كان تأييدا للإمام الغزالي أكثر مما كان هدمًا له، فالعقل الذي يبني هو العقل الذي يهدم، ولذا لا مجال للعقليات في مسائل ما وراء الطبيعة. إن ابن رشد بعمله هذا أيد الغزالي فيما ذهب إليه دون أن يدري» اهـ.

ويعترف المتشكك الشهير مراد وهبة في كتابه «ملاك الحقيقة المطلقة» أن الفلسفة وتاريخ الفلسفة هو تاريخ العجز، والمسائل التي بحثها أرسطو قبل الميلاد هي نفسها المسائل التي يبحثها الفلاسفة هذه الأيام، ودون جدوى فالعقل قاصر في جانب الغيبيات

الباطل من بين يديه، ولا من خلفه. والواقع أن القرآن ليس في استشارة الإنسان في أي قضية من القضايا الغيبية التي أتى بها، ولا يجعل من العقل حكماً؛ لأن مُنزل القرآن يعلم قصور العقل في هذه المسائل، ولذا أتى بها صريحة قاطعة، من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (الكهف: ٥٤).

وإذا بدأ التفلسف بدأنا نلمس فتور الإيمان كأساس من أسس التفلسف، وكنتيجة من نتائجه أيضاً، وبداية التفلسف هي بداية التمرد الديني. ولا يظنّ ظانّ أن طريقة محاوراتنا مع الملاحدة، هي نفس الطريق التي أوصلتنا إلى الإيمان بالله-معاذ الله-فالإيمان شأوه في القلوب أقر بكثير من أدلة الجدل، وحجج المنطق، وترتيبات المداخل. وإنما نلجأ لتلك الحجج للإلجام حتى لا يبقى للملحد حجة.

وقد نقل الدكتور عبد الحليم محمود في كتابه «الإسلام والعقل» كثيراً من نقولات زجر السلف عن الكلام، والتنطع. يقول في كتابه «الإسلام والعقل» (ص ١٧٠ وما بعدها) قال محمد ابن أبي زيد: «وقلّ من أنعم النظر في هذا الكتاب وسلم من زندقة».

وعن أحمد ابن مهدي قال: «سألت سفيان الثوري عن الكلام. فقال سئل الأوزاعي عنه فقال: «اجتنب علماً إذا بلغت فيه المنتهى/ نسبوك للزندقة. عليك بالاعتداء والتقليد».

وعن أبي يوسف: «العلم بالخصومة والكلام جهل، والجهل بالخصومة والكلام علم».

أنكرته، وهي حين تثبت وجود الله عقلياً ليس في ذلك كبير فائدة.. ذلك أن العقل الذي أثبت هو العقل الذي يمكنه أن ينكر.. والمذهب السوفسطائي اليوناني وهو مذهب يظهر دائماً في عصر الانحلال، وفي البيئات المنحلة، ولا وجود له في عصور الجد، ولا في البيئات الجادة.. إن الأدب المكشوف نشأت جنوره في اليونان، والمسرح الفاجر يوناني، والتمائيل العارية يونانية» اهـ.

والمدارس العقلية في الدين أيّا كانت، وفي أي مكان وجدت لم تسجد لله سجود خضوع وإذعان، وإنما سجدت للعقل!

يقول ابن عبد البر: «إن الله ليس كمثله شيء فكيف يُدرك بقياس أو بإنعام نظر».. ﴿عَالَمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا.. إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ (الجن: ٢٧) اهـ.

والملاحدة في كل عصورهم يسرهم أن تأخذ مسألة إثبات الألوهية موضع الأخذ والرد؛ فوضع مسألة وجود الله موضع بحث، هو الذي هياً لذوي الفطر المنحرفة أن يلحدوا في دين الله، وإذا كنت تضع الوجود الإلهي موضع بحث فمعنى ذلك أنك وضعته موضع شك وريبة.. شتان بين من يستدل به ومن يستدل عليه.

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (آل عمران: ١٠١).

فقد جاء خطاب القرآن حاسماً لا يتردد، ولا يقرر التردد، ولا يتشكك ولا يقر التشكك، وكان الأمر كذلك لأنه جاء بالحق الحق، الذي لا يأتيه

عن جعفر الفرعاني قال سمعت الجنيدي ابن محمد يقول: «أقل ما في الكلام سقوط هيبة الرب من القلب، والقلب إذا عري من الهيبة بالله، عري من الإيمان».

ثم يعلق الدكتور عبد الحليم محمود قائلاً: ما من كلام نسمعه لفرقة منهم إلا ولخصومهم عليه كلام يوازيه، أو يقاربه، فكل بكل معارض، وبعض ببعض مقابل، وإنما يكون تقدم الواحد منهم وفلجه على خصمه بقدر حظه من البيان، وحذقه في صناعة الجدل والكلام.

وقال أحمد ابن حنبل: «لا يفلح صاحب الكلام أبداً، ولا تكاد ترى أحداً نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل». وبالغ في ذمه... بل الإمام أحمد ابن حنبل وصل به الأمر إلى أن هجر الحارث المحاسبي مع زهده، وورعه، بسبب تصنيفه كتاباً في الرد على المبتدعة، وقال له: «ويحك ألسنت تحكي بدعتهم أولاً ثم ترد عليهم، ألسنت تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة، والتفكر في تلك الشبهات، فيدعوهم ذلك إلى الرأي والبحث».

وقال مالك رحمه الله: «أرأيت إن جاءه من هو أجدل منه أيدع دينه كل يوم لدين جديد؟».

ولذا قال صلى الله عليه وسلم: $\text{UNj } \text{ENjY} \text{CH} \frac{1}{4}$

[١] - $\text{!H} \text{Z} \text{I} \text{q} \text{S} \text{Z} \text{ENjY} \text{q} \text{H} \text{G}$

ثم إن النبي نفسه صلى الله عليه وسلم والكلام للدكتور عبد الحليم محمود-بُعث إلى جميع أهل الأديان، فما جادلهم إلا بما تلى عليهم من التنزيل، ولو شاء كلمهم بالمقاييس، ودقيق الكلام. ولو كان ذلك هدى كان أولى به، وعليه أقوى، فلم تقم عليهم

الحجة إلا بالتنزيل. وحين جهر بالدعوة تحدى العرب بصدقه، ولما جاءه عتبة يفاوضه في شأن النزول عن دعوته، لم يعمل صلى الله عليه وسلم شيئاً سوى أن قرأ عليه صدر سورة فصلت.

فالملاحد لا يطمئن إلى شيء روحي يصل إليه، ولا إلى شيء مادي، بل يتشكك في الماديات، والماورائيات، ويظل هكذا ضيقاً حنقاً لا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً، حتى تأتيه منيته وهو على ذلك.

طلب «طه حسين» يوماً من «أندريه جيد» المفكر الفرنسي الشهير أن يسمح له بترجمة أعماله إلى العربية.. فرد عليه أندريه جيد مندهشاً فقال: «يدهشني اقتراحك.. الإنسان المسلم يحمل من الأجوبة أكثر مما يثير من أسئلة» اهـ.

وكما يقول الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله: «فالدين سفينة والعقل لوح خشب، وقل من نجا بلوح خشب» اهـ.

[١] ليس من قول النبي-صلى الله عليه وسلم- وإنما

ورد موقوفاً عن ابن مسعود-رضي الله عنه-. كما في سنن

الدارمي (٢٠٥) وغيره، وصححه الألباني في تخريج «العلم»

لابن أبي خيثمة (٥٤)

هناك توازن .. فمن أوجده ؟!



بقلم aMiNe

هندسة كيميائية وعلوم زراعية

الشمسي، وحدّها الأرض هي التي تحتضن الحياة في جميع تنوعاتها، ابتداءً من الكائنات الوحيدة الخلية البسيطة إلى الأكثر تعقيداً، وهو الإنسان. و تُصان هذه الحياة الوفيرة بدورات (cycles) معقدة تُوفر الضوء والهواء والحرارة والماء والطعام، وكلُّ هذا في توازن مثالي.

١ - المسافة بين الأرض والشمس،
والحركة في الفضاء :

لجعل الحياة ممكنة على سطح الأرض، لا بد من تلبية شروط صارمة.

فلنعتبر، على سبيل المثال، كمية الضوء والحرارة الآتية من الشمس. لا يحصل كوكبنا، في

بسم الله الرحمن الرحيم

نمشي على وجه هذه الأرض، نتنسم هواءها، نستفيد من حرارة شمسها، نأكل من ثمرها، نشرب من مائها.. فهل تعلمون أن هذا كله ما كان ليكون، لولا وجود توازن دقيق بديع، تنعم به أرضنا النابضة بالحياة ؟!

في محاولة لتقريب الصورة أكثر، ترجمت -بتصرف طفيف- مقالا مفيدا مُختصرا، من كتاب «Dieu ou le hasard ? Il faut choisir» لمؤلفه الدكتور عبد الخالد عبد الكريم، نتعرف من خلاله على بعض جوانب ذلك التوازن البديع، فنحمد ربنا على جوده، و نقيم الحجة على مُنكر وجوده..

«من بين جميع الكواكب السيارة في النظام

الواقع، إلا على جزء ضئيل من الطاقة الشمسية، و لكن هذه الكمية، بالضبط، هي اللازمة للحفاظ على الحياة. وهذا ممكن بفضل المسافة المثلى التي تفصل الأرض عن الشمس، والتي تقدر بـ : ١٥٠ مليون كيلومترا. فإذا كانت أقرب أكثر أو أبعد أكثر عن الشمس، فستكون ساخنة جدا أو باردة جدا، وعندها ستكون الحياة مستحيلة.

وتقوم الأرض، كل سنة، بدورة كاملة حول الشمس بسرعة تبلغ حوالي ٣٠ كيلومترا في الثانية الواحدة [١]. وهذه السرعة بالضبط، هي ما يلزم لمعادلة جاذبية الشمس وللحفاظ على المسافة المناسبة (بين الأرض و الشمس).

فإذا انخفضت السرعة، فإن كوكبنا سيقترّب من الشمس، وبمرور الوقت، سيتحول إلى صحراء قاحلة ومهجورة كعطارد الكوكب الأقرب إلى الشمس. ودرجة الحرارة خلال النهار، في عطارد، تفوق ٣٠٠ درجة.

وبالعكس، إذا زادت سرعة دوران الأرض، فإنها ستبتعد عن الشمس وستتحول إلى صحراء قاحلة مجمدة مثل بلوتو : الكوكب الأبعد عن الشمس، حيث درجة الحرارة تصل إلى ١٨٥ درجة مئوية تحت الصفر.

خلال دورانها حول الشمس، تقوم الأرض بالدوران حول نفسها خلال ٢٤ ساعة، مُمكنة بذلك تناوب الليل و النهار.

ولكن ماذا كان سيحدث إذا ما قامت بالدوران حول محورها مرة في السنة ؟

سيبقى جزء من الأرض متعرضا لأشعة

الشمس السنة كلها ومن المحتمل أن تصبح صحراء قاحلة، في حين أن الجزء الآخر سيبقى في الظلام خلال نفس الفترة، ليصبح أرضا مقفرة ولكن مجمدة. وعدد قليل من أشكال الحياة، هي التي يمكنها البقاء على قيد الحياة في مثل هذه الظروف القاسية.

زيادة على ذلك، فالمحور الذي تدور حوله الأرض يتميز بميل يُقدر بـ ٢٣,٥ درجة، وبدون هذا الميل، لن تكون هناك فصول، وسيبقى المناخ هو نفسه طيلة السنة.

أكد أن هذه الظروف لا تجعل الحياة مستحيلة، ولكن ستجعلها أقل قبولا، وستجعل دورات المحاصيل مُضطربة، في كثير من المناطق. فإذا كانت الأرض مائلة أكثر حول محورها، فسينتج عن ذلك صيف شديد الحرارة وشتاء شديد البرودة.

إذن فقيمة ميل المحور، تُعتبر قيمة مُثلى حُسبت بدقة..

٢- الغلاف الجوي :

يُعتبر الغلاف الجوي الأرضي، فريدا من نوعه في نظامنا الشمسي، حيث يحتوي على نسبة مثالية من الغازات الضرورية للحياة. وبعض تلك الغازات، هي في حد ذاتها، غازات قاتلة، ولكن من خلال مزيج دقيق وبكميات كافية، يمكننا التنفس بكل طمأنينة.

يشكل الأكسجين ٢١ ٪ من حجم الهواء الذي

نتنفسه، وبدونه، تموت الحيوانات والإنسان في بضع دقائق.

ولكن الكثير من الأكسجين سيكون خطرا على الحياة، ففي الحالة الخالصة (l'état pur)، يصبح الأوكسجين ساماً.

ومن ناحية أخرى، كلما ازدادت نسبة الأوكسجين، كلما سهل اشتعال الأشياء. فإذا كان هناك الكثير من الأوكسجين في الجو، فإن المواد القابلة للاحتراق ستشتعل في أي لحظة، متسببة بذلك في حرائق، سيكون من الصعب جدا السيطرة عليها.

و لكن، الأكسجين مُخَفَّفٌ بغازات أخرى، لا سيما النيتروجين (الآزوت)، والذي يشكل ٧٨ ٪ من حجم الهواء.

ولا يعمل هذا الغاز الوفير بمثابة مُخَفَّفٍ فقط. ففي أوقات العواصف، تُمرَّرُ في السماء ملايين من البرق، مُحدثة بذلك مزيجا من النيتروجين والأكسجين. والمركبات الناتجة تصل إلى الأرض بفضل تساقطات الأمطار، حيث تُستخدم كسماد للنباتات.

ويشكل غاز ثاني أكسيد الكربون أقل من ١ ٪ من الغلاف الجوي.

فماذا يمكن أن تكون فائدة هذه الكمية الصغيرة جدا؟

بكل بساطة دون هذا الغاز ستتوقف الحياة النباتية!

إذ يجب أن تمتصه النباتات قبل أن تطرح الأكسجين. والبشر والحيوانات تستنشق هذا

الأكسجين وتطرح ثاني أكسيد الكربون.

ونسبة أعلى من هذا الغاز، ستكون ضارة للحيوانات والبشر. ونسبة أقل، لن تكون كافية لأجل بقاء النباتات على قيد الحياة.

فيا لها من دورة رائعة دقيقة ! بسببها، تصبح حياة النبات والحيوان والإنسان، ممكنة.

٢٦ الماء والشربة هما عنصران أساسيان

تحتوي الأرض على احتياطات هائلة من الماء، الذي تُعتبر خصائصه أساسية للحياة. يُوفر الماء- الذي يتوافر أكثر من أي عنصر آخر - خصائص مفيدة.

حيث يوجد في الحالة الغازية (بخار الماء) والسائلة والصلبة (الثلج). ومن جهة أخرى، فإن الآلاف من المواد المختلفة اللازمة لحياة الإنسان والحيوان والنبات يجب نقلها بواسطة سائل، الدم أو النسغ (la sève).

والماء هو العنصر المثالي لهذه المهمة، لأنه يمكن أن يذيب كثيرا من المواد مقارنة مع أي سائل آخر. فمن دون الماء، لا يمكن للكائنات الحية أن تتغذى، إذ لن تستطيع أن تذيب المواد لامتصاصها.

وتجمد الماء: ظاهرة رائعة أخرى. فعندما تبرد مياه بحيرة أو بحر، فإنها تصبح أثقل، وبالتالي تنزل إلى أسفل، مما يتسبب في ارتفاع المياه الأكثر دفئا والأخف وزنا نحو السطح. ومع ذلك، فعندما يقترب الماء من درجة التجمد، تُعكس العملية. فحينما يزيد

في البرودة، فإنه، هذه المرة، يصبح أخف وزناً ويرتفع، ويتحول إلى جليد يطفو على السطح.

ويعمل هذا الجليد بمثابة عازل، حيث يمنع تجمد المياه العميقة، محافظاً بذلك على الحياة المائية. وبدون هذه الخاصية الرائعة التي يتميز بها الماء، فإنه - شتاء بعد شتاء - سيتراكم المزيد والمزيد من الجليد في الأعماق، حيث لن تستطيع أشعة شمس الصيف أن تذيبه. وبمرور الوقت، ستتجمد مياه الأنهار والبحيرات وحتى مياه المحيطات، وستصبح الأرض كوكبا جليديا غير صالح للحياة.

هناك ظاهرة مذهلة أخرى، تُمكن المناطق البعيدة عن السواحل أو من أي مساحة مائية، من الاستفادة من السائل الضروري للحياة (الماء). فتحت تأثير أشعة الشمس، تتبخر، في كل ثانية، مليارات اللترات من الماء. وحيث إن بخار الماء أخف من الهواء، فهو يرتفع، ليشكل الغيوم التي تُنقل بواسطة الرياح والتيارات.

تحت ظروف معينة، سينزل بخار الماء إلى الأرض على شكل مطر. ومع ذلك، فإن قطرات المطر لا تتجاوز حجماً معيناً.

تخلوا حجم الخراب الذي يمكن أن تتسبب فيه إذا كانت تصل إلى أحجام كبيرة! ولكن على العكس من ذلك، فعامةً، يهطل المطر بهدوء، على شكل قطرات صغيرة، حيث - الماء و التربة هما عنصران أساسيان: نادراً ما تُتلف جزءاً من عشب أو زهرة جد حساسة.

يشهد الماء، بكل وضوح، على وجود حكمة مطلقة وتدبير.

بالنسبة لتربة الأرض المُنتجة، فهي مذهلة حقاً. إذ إن تكوينها، الذي يعكس حكمة، يقدم كل ما يلزم لنمو النباتات. وانطلاقاً من تلك العناصر المغذية والماء، وثاني أكسيد الكربون الجوي، وفي وجود الضوء، تُنتج النباتات الغذاء.

تحتوي التربة على عناصر كيميائية ضرورية لاستمرار الحياة البشرية والحيوانية. ومع ذلك، فمن الضروري أن يُحوّل النبات هذه العناصر بحيث يمكن للجسم استيعابها. ولأجل هذا، تتعاون كائنات حية صغيرة تتواجد بمعدل عدة ملايين في ملعقة صغيرة من التربة! وهي متنوعة، أشكالها لا حصر لها، يعمل كلٌّ منها، إما في تحويل الأوراق أو الأعشاب الميتة وغيرها من الحطامات إلى مواد صالحة للاستعمال، وإما لتهوئة التربة بحيث يمكن للهواء والماء النفوذ.

وتُحوّل بعض أنواع البكتيريا، النيتروجين إلى مركبات، تحتاجها النباتات لتنمو. أما الطبقة السطحية للتربة فتُحسّن بفضل ديدان الأرض والحشرات التي تُنقب في التربة باستمرار، جالبة معها، إلى السطح، الجزيئات الموجودة تحت التربة.

صحيح أن، جزءاً من التربة تالف، بسبب الاستخدام غير السليم، بالإضافة إلى عوامل أخرى. ولكن هذه الأضرار لا تكون دائمة، بالضرورة.

ففي الواقع، للأرض إمكانيات مذهلة للتجديد

(régénération). ويمكن ملاحظة ذلك، على سبيل المثال، في الأمكنة التي تكتسحها الحرائق أو الانفجارات البركانية. فبمرور الوقت، يزهر الغطاء النباتي من جديد. و يمكن أيضا، إعادة الأرض في ظروف جيدة، عبر التحكم في التلوث، حتى في المناطق التي أصبحت مهجورة وقاحلة.

كل ما قيل يشهدنا إلى التفكير في هذه المسألة

هل من قبيل الصدفة، أن تبعد الأرض بمسافة مثالية عن الشمس التي أوفرت لنا الطاقة اللازمة على شكل ضوء وحرارة ؟

هل الصدفة هي من جعلت الأرض تدور حول الشمس بالسرعة المناسبة، وهي من جعلت كوكبنا يقوم بدورة كاملة حول محورها كل ٢٤ ساعة، وهي من أمالها بالنسبة لمحورها حسب زاوية مثالية ؟ هل الصدفة هي من وهب للأرض غلافها الجوي الذي يحميها ويجعل الحياة ممكنة بفضل مزيج من الغازات بنسب دقيقة ؟

هل توافر الأرض على الماء والتربة اللازمين للغذاء، وقدرتها على إنتاج الكثير من الفاكهة والخضروات وغيرها من المواد الغذائية اللذيذة والمختلفة الألوان .. هو من قبيل الصدفة ؟

هل الصدفة هي التي أوجدت السماوات، والجبال،

والأنهار والبحيرات، والزهور والنباتات والأشجار النادرة الجمال، والعديد من الكائنات الحية الأخرى الرائعة ؟». ا.هـ.

صراحة، هذه تساؤلات حقيقة بالتأمل والتفكير المنصف، من طرف الباحثين عن الحق..

وبعد هذا المقال الرائع، أختتم بسؤال مباشر، مُوجه إلى الملاحظة وأمثالهم:

المراجع يشهد بأن هناك توارثا دقيقا دقيقا فمن أوجه ؟

و الحمد لله رب العالمين.

[١] راجع كلام علماء الإسلام في مسألة دوران الأرض حول الشمس.



حتمًا ليست ذات

خاصية نبيلة!!

بقلم د. حسام الدين حامد

كبعوضة، أصابها صاعقُ ناموسٍ، لا يرحم !!
انتفاضاته منتظمة، لا يصحبها صراخ، مع
ابتسامةٍ كافيةٍ لاستبعاد الصرع، كتشخيصٍ مبدئي !
ثم كان السلك المتصل بسماعة مبيّنة في صوان
أذنه كافيًا لتفسير الأمر!!
بضغطة زرّ، فصل الكهرباء عن الصاعق،
وتوقف عن الرقص !

أغلب ظني، أن سحنته الشاحبة، والخطوط
الحمراء في عينيه، هي ما جعلتني أبادره :

«السلام عليك ورحمة الله وبركاته وعافيته» !!

«هاي»

«كيف حالك ؟!»

«كووول مان ... كوول»

لم تكن قضبان الحديد على تلك النوافذ المفتحة،
لتمنع رؤية ما وراءها، من بيوتٍ لعنكبوتٍ مخلصٍ،
لذاك السقف المترب !
كان ذلك أول ما يشد النظر من تلك الواجهة
«المستطيلة»، التي أبرزها هذا المبنى للناظرين،
وكانها خير ما عنده!

لابد أن تمر عيناك على أثر الشمس، في هذا
الطلاء الأخضر المعفر، حتى تصل لتلك اللافتة !
كانت لافتةً مربعةً، ضخمةً، في أعلى «المستطيل»،
عليها بخط بارزٍ «جمعية البر بالأجداد» !
لابد أنني عند دخولي عبر تلك البوابة الحديدية،
رأيت لافتة الترحيب تلك !
كان رسم حروفها (welcome) ..

قطع عليّ ملاحظتي للتفاصيل، شخصٌ ينتفض

لم تخلُ تلك الكلمات، من هزات خفيفة أصابت رأسه، وتلك السلسلة في رقبته !

أثار حفيظتي «قطمه» للكلام بهذه الطريقة، وأنه لم يعرض عليّ مساعدتي في تلك الزيارة ..
وقد أوحى إليّ حفيظتي -حفظها الله - بسؤال سريع، يشغل الذهن، وتطول إجابته ..
«كيف أستطيع أن أشارك في هذا العمل الطيب، من خلال جمعيتكم لبر الأجداد ؟!»
فشلت خطتي، وزاد على حفيظتي شيء كثير من الغيظ، حين أشاح بوجهه :

«يا مشمش ..»

« نعم يا أستاذ ناعوم!!»

«خد الأستاذ فوق !!»

كان «مشمش» لذيذاً، خفيف الدم، ثقيل الوزن، شرهاً، حتى إنه لا يترك هذه الموزة من يده أثناء تلبيته نداء العمل !!

كان كل ما يشغلني تهية هندامي، وكلماتي، بينما كل ما شغل الطريق هو شكوى مشمش من تسلط ناعوم!!

فتح مشمش باب القاعة المقصودة، وناولني الموزة، وانصرف ..

فجأة!

صراخ ..

قفزات ..

تدافع ..

تهارج ..

تهارش ..

تهالوش ..

تشبث بالحديد ..

لا أدري، لم صار هذا العنكبوت في عينيّ مستعمرًا، لا مخلصًا !!
ولا أدري، أيمن أن تذهب من نفسي تلك الدهشة، دون أن تأخذ شيئاً من العافية ؟!
لكني رميت تلك الموزة لأحدهم، ثم..

ثم انكسر الخاطر !!

«وفي طائفة الثدييات، فإنه ليس من الصعب تفهم الخطوات التي قادت من الحيوانات وحيدة المسلك القديمة إلى الحيوانات الجرابية القديمة، ومن تلك الأخيرة إلى الجود العليا المبكرة للحيوانات الثديية المشيمية، ومن الممكن بهذا الشكل أن نرتفع إلى الليموريات، والفجوة ليست واسعة جدًا من تلك الأخيرة إلى القرديات، والقرديات بعد ذلك تفرعت إلى أورمتين عظيمتين، وهما قرود العالم الجديد وقرود العالم القديم، ومن الأخيرة وفي عصرٍ بعيدٍ انبثق الإنسان أعجوبة الكون ومثار فخاره .

لقد أعطينا الإنسان بهذا الشكل شجرة أنساب ذات طولٍ غير عادي، ولكن قد يقال عنها إنها ليست ذات خاصية نبيلة».

تشارلز دارون.

«نشأة الإنسان والانتقاء الجنسي»

ترجمة: مجدي محمود المليجي.

«المجلد الأول: ٣٧٨»



www.eltwhed.com

مجلة التوحيد